الصولي
أبو بكر محمد بن يحيى

اخبار ابي تمّام

تحقيق

بياتريس جريندلر

مكتبة لسان العرب

LIBRARY OF
المكتبة
ARABIC
العربية
LITERATURE

أخبار أبي تمّام

تأليف

أبي بكر محمّد بن يحيى الصوليّ

وبأوّله

رسالة الصوليّ إلى
أبي الليث مزاحم بن فاتك في
تأليف أخبار أبي تمّام وشعره

LIBRARY OF
المكتبة
ARABIC
العربية
LITERATURE

تحقيق

بياتريس جريندلر

تُطلب النسخة الكاملة للشراء —
بنصّ الكتاب المحقّق مع الترجمة الإنجليزيّة والمقدّمة وكلمة
عن المخطوطات المستعملة والحواشي والمصادر —
من المكتبة العربية
(www.libraryofarabicliterature.org)

المكتبة العربية

تهدف المكتبة العربية التي تم إنشاؤها بموجب منحة مقدّمة من معهد جامعة نيو يورك أبو ظبي، وبالتعاون مع دار النشر التابعة لجامعة نيو يورك، إلى نشر أبرز آثار التراث العربي باللغتين العربية والإنجليزية. فتقوم مجموعة من الباحثين المرموقين في مجال الدراسات العربية والاسلامية بإعداد النصوص بحيث يتم عرض المتن العربي المحقق وترجمته الإنجليزية في صفحات متقابلة من المجلد الواحد. وتعود أقدم النصوص التي تصدرها المكتبة العربية إلى حقبة ما قبل الإسلام حين تعود أحدثها إلى مستهلّ العصر الحديث. كما تضم المكتبة نماذج من مختلف مجالات العلوم والفنون بينها كتب الدين وعلومه والفقه وأصوله والفلسفة والعلوم الطبيعية وكتب الأخبار والتاريخ والشعر ونقده وأدب القصة والحكاية.

تدير المكتبة العربية مجموعة من الباحثين العاملين في مختلف أنحاء العالم منهم أعضاء لجنة التحرير وهم فيليب كنيدي من جامعة نيو يورك والذي يعمل محررا عاما، ثم جيمس مونتكمري، أستاذ اللغة العربية في جامعة كامبريدج، وشوكت محمود تراوا، أستاذ مشارك في الدراسات العربية والاسلامية في جامعة كورنيل، واللذان يعملان محررين تنفيذيين، ثم جوليا بري (جامعة اكسفورد)، ومايكل كوبرسن (جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس)، وجوزيف لاوري (جامعة بنسلفانيا)، وطاهرة قطب الدين (جامعة شيكاغو)، وديفن ستيورت (جامعة اموري). ويشترك المحررون الثمانية في اختيار النصوص وتفويض المترجمين ومقابلة المخطوطات والمراجعة النهائية للنصوص المحققة والمترجمة، كما تقوم لجنة دولية مشكّلة من سبعة وعشرين عضواً بتقديم النصائح ووضع الخطوط العريضة لتطور السلسلة على المدى البعيد.

تعتبر المكتبة العربية السابقة من نوعها حيث تهدف إلى إنشاء مكتبة كبرى تضم نصوصا عربية ذات قيمة مرجعية تصاحبها ترجمات انجليزية تتصف بحداثة الصياغة وسلاسة الأسلوب، سعيا بذلك إلى تعريف الباحثين والطلاب وجمهور القرّاء غير المتخصصين بموروث الأدب العربي .



كلمة عن إثبات النص العربي

اعتمدت في إثبات النص على النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة السليمانية في استنبول في مجموعة الفاتح رقم ٣٩٠٠ المرموز إليها ب[ا] وقارنتها بطبعة خليل محمّد عساكر ومحمد عبده عزّام ونظير الإسلام الهندي المرموز إليها ب[ع]، و[عس]، و[هـ] كما شرحت تفاصيله في المقدمة للترجمة والتحقيق الأصلي. ولا يستغني الباحث عن تلك الطبعة في الدراسة الأكاديمية الحديثة للكتاب.

المحتويات

رسالة الصوليّ إلى أبي الليث مزاحم بن فاتك في تأليف أخبار أبي تمّام وشعره

بسم الله الرحمن الرحيم

١ الحمد لله أهل الحمد أن يكون له وأهل النعمة أن تكون منه المتفضّل[١] على جميع خلقه والمبتدئ . . . الذي[٢] أوضح سبيل حجّته وسهّل طريق طاعته وجعل كلّ ما تقع عليه عين أو ينزع إليه قلب أو يجتاز به خاطر دليلاً على ربوبيّته وشاهداً بوحدانيّته وصلّى الله على محمّد خاتم أنبيائه وخير رسله وعلى آله الطيّبين وسلّم تسليماً.

١،٢ أمّا بعد أدام الله في أرغد العيش وأكمل السرور وأمدّ العمر وأرضى العمل عزّك وحسّن الزمان الذي قلّ فيه نظيرك ببقائك ووهب لأهل الأدب سلامتك فإنّك جاريتني[٣] آخر عهد التقائنا فيما أفضنا فيه من العلوم أمر أبي تمّام حبيب بن أوس الطائيّ وعجبت من افتراق آراء الناس فيه حتّى ترى أكثرهم والمقدّم في علم الشعر وتمييز الكلام منهم والكامل من أهل النظم والنثر فيهم يوفيه حقّه في المدح ويعطيه موضعه من الرتبة ثمّ يكبر بإحسانه في عينه ويقوى بإبداعه في نفسه حتّى يلحقه بعضهم بمن يتقدّمه ويفرط بعض فيجعله نسيج وحده وسابقاً لا مساوي له.

٢،٢ وترى بعد ذلك قوماً يعيبونه ويطعنون في كثير من شعره ويسندون ذلك إلى بعض العلماء ويقولونه بالتقليد والادّعاء إذ لم يصحّ فيه دليل ولا أجابتهم إليه حجّة ورأيتُ مع ذلك الصنفين جميعاً وما يتضمّن أحد منهم القيام بشعره والتبيين لمراده بل لا يجسر على إنشاد قصيدة واحدة له إذ كانت تهجم لا بدّ به على خبر لم يروه ومثل لم يسمعه ومعنًى لم يعرف مثله.

٣،٢ فعرّفتك أنّ السبب كما ذكرتَ[٤] وتضمّنت لك شرح ما وصفتَ[٥] حتّى لا يعارضك شكّ فيه ولا يخامرك ريب منه. فرأيت من سرورك بذلك وارتياحك إليه وصبابتك به ما حداني على استقصائه لك والتعجيل به عليك وإهدائه في رسالة إليك تتبعها أخباره كاملةً في جميع فنونه في تفضيله وذكر من عرفه فقدّمه وقرّظه والاحتجاج على

١ ا: غير واضح تماما. ٢ ثلاثة كلمات مطموسة؛ أثبت ع الأولى والثالثة على أقرب الاحتمالات. ٣ ا: حاريتني. ٤ كذا في ا. ٥ كذا في ا.

من جهله فأخّره وعابه ومع من كان يمدحه ويراسله وينتجعه طارئًا إليه وأذكر جميع ما قيل فيه وإن كان قصدي تبيين فضله والردّ على من جهل الحقّ فيه فأُضعِف لذلك سرورُك وزاد له نشاطك.

٤،٢ ثمّ أرتني عين الرأي بقيّة في نفسك منه لم يطلعها لي لسانك إمّا كراهةً منك لتعبي أو إشفاقًا من الزيادة في شغلي مع ما يتقسّمني من جور الزمان وجفاء السلطان وتغيّر الإخوان. فسألتك إبانته وتكليفي جميع ما تريد منه فعرّفتني أنّ تكميل ذلك لك وبلوغي فيه أقصى إرادتك إتباعي أخبارَه بعمل شعره كلّه معربًّا[1] مفسَّرًا حتّى لا يشذّ منه حرف ولا يغمض منه معنى ولا ينبو عنه فهم ولا يمجّه سمع فأسرعت بذلك إجابتي وعملته بالفكر نيّتي. وتضمّنت عمل شعره لك بعد أخباره في مدحه وهجائه وفخره وغزله وأوصافه ومراثيه وأن أبدأ في كلّ فنّ من هذه الفنون بشعره على قافية الألف والباء ثمّ على توالي الحروف إلى آخرها ليكون أقرب عليك متى أردتها ولم أجد سبيلاً إلى مخالفتك ولا عدولاً عن مشيئتك وإن كان هذا ممّا لا أجيب إليه غيرك ولا أسمح به لسواك لا ضنًّا بالعلم عن أهله ولا كراهةً لنشره وحمل من يستحقّه له لكن لما أنا كاشفه بعد ستره وناشر له بعد طيّه ممّا أنا عالم به وعدل فيه.

٣ رأيت أعزّك الله أكثر المتحلّين بالأدب في زماننا هذا على خلاف ما عهدت عليه القدماء الماضين والعلماء الأستاذين يطلب الرجل منهم فنًّا من فنون الآداب فيُقسم له حظّ فيه وينال درجةً منه فلا يرى أنّ اسم العالم يتمّ له ولا أنّ الرياسة تنجذب إليه إلّا بالطعن على العلماء والوضع من ماضيهم والاستحقار لباقيهم ويكثر ذاك على لسانه حتّى يكون أجلّ فوائده وأكثر ما يمرّ في مجلسه. ثمّ لا يقنع بالعلم الذي جذب أطرافه وادّعى جملته واحتجز عن المناظر له والمبين عن مقداره بالحجّة عليه بقوم أعدّهم لمواثبة من يسأله والانتهار لمن يطالبه حتّى يدّعي من العلوم ما لم يخطر

---

١ ا: مُغرَّبًا.

له ببال ولا كدّ فيه ذهناً ولا حمل إلى أهله قدماً ولا عُرف له طالباً ويظنّ أنّه متى لم يعلمه لم يعدّ عالماً ولم يحسب رئيساً.

ومن جليل من رأيناه ولزمناه وأكثرنا عنه ممّن بعُد صيتُه وشُهد بالعلم له ووقع الإجماع ١،٤
عليه اثنان أبو العبّاس محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزديّ وأبو العبّاس أحمد بن يحيى الشيبانيّ رحمهما الله. فما رأيناهما زعما قطّ أنّهما أعلم الناس بقديم السير وما جرى عليه أمر الدول ولا بعلوم الأوائل ولا قصص الملوك ولا بأخبار قريش وأمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومبعثه ومغازيه ومعرفة أهله وأصحابه رحمهم الله وذلك من أجلّ العلوم.

ولا ادّعيا أنّهما أعلم الناس بأخبار العرب وأنسابها وأيّام الجاهليّة وأخبار ٢،٤
الإسلام وأمر الخلفاء صلوات الله عليهم ووزرائهم وسائر عمّالهم وتبّاعهم والخوارج والأحداث في أيّامهم.

ولا أنّهما يتقدّمان في الفقه الذي لا بدّ للناس منه والحديث الذي يدور دين ٣،٤
الإسلام عليه ومعرفة أهله وطرقه ورجاله وتاريخهم[١] وأسنانهم حتّى إن قُدّم رجل على رجل أو أُلحق رجل برجل لم يلقه عرفاه ولا العلم بأسمائهم وكناهم والقويّ الثقة فيهم والضعيف المتّهم منهم.

ولا في علم الملوك الذي كأنّه مقصور عليهم من الأشعار التي يغنّى فيها ونسبتها ٤،٤
إلى قائليها والسبب الذي له قيلت ومن تغنّى في شيء منها وتبيين طرقها وأجناسها وأصابعها إذ كان أهل المدينة مع فضلهم وتقدّمهم وزهدهم لم يكن أحد من فقهائهم يجهل ما يحلّونه من ذلك.

ولا في حفظ كلّ ما يحتاج الملوك إليه ويسألون عنه ممّا تقع أعينهم عليه ٥،٤
ويُخدمون في الأوقات به حتّى إذا سئل عن أصناف الأشربة وأوصافها وأحسن ما قالت الشعراء فيها وفي سائر الفواكه والرياحين والأزمنة[٢] وصفات الدور والبساتين

١ ا: تاريخه.   ٢ ا: والأرمنة.

والمجالس والبِرَك والصبوح والغبوق والصحو والغيم والشمس والقمر والنجوم والأنواء وأوصاف الخيل[١] والسلاح وسائر فنون الغزل إلى كثير من أشباه ما ذكرت والنوادر المرويّة التي تدّخر للملوك والنوادر المخترعة المشتقّة من عارض يعرض في الوقت.

٦،٤ ولا ادّعيا التقدّم في علم شعر المحدثين وأوائلهم من لحق أوّل دولة بني العبّاس مدّها الله وحرسها ولا أنّهما إذا تعاطيا مثل شعرهم أطاقاه وقدرا على أن يقولا مثله ولا تضمّنا العلم بلفظة لفظة منه وتمييز نادره ووسطه وما كان دونًا منه إلّا بردّ لحن أو خطأً في لغة.

٧،٤ ولا ادّعيا التقدّم على غيرهما في علم العروض والقوافي والنسب والرسائل والمكاتبات والبلاغة ومعرفة استراقات الشعراء وأخذ بعضهم من بعض والمحسن منهم في ذلك والمُسيء. ولا ادّعى ذلك مدّع لهما ولكنّهما كانا يتقدّمان في النحو واللغة ويعلم كلّ واحد منهما من هذه العلوم طرفًا ولا يقول واحد منهما إنّي لا أغلط ولا يحتشم إذا لم يعرف الشيء أن يقول لا أدري.

٨،٤ فانظر أعزّك الله إلى هذين الرجلين الجليلين المتقدّمين وما فاتهما من سائر ما عددت لك من العلوم وموضعهما مع ذلك عند الناس في علوّ الرتبة وجليل المحلّ إذ لم يدّعيا ما لم يحسنا ولا أجابا في الذي لم يعرفا.

١،٥ وليس أحد ممّن أومأت إليه في زماننا هذا يعشر عند أعشق الناس له ومن رِينَ على قلبه في محبّته والتعصّب له واحدًا منهما ولا يدانيه في حال وهم مع ذلك يدّعون علم كلّ شيء ولا يقولون في شيء لا ندري ولا نعلم فكانوا كما قال الشاعر [الرمل]

يَتَعَاطَى كُلَّ شَيْءٍ   وَهْوَ لاَ يُحْسِنُ شَيَّا
فَهْوَ لَا يَزْدَادُ رُشْدًا   إِنَّمَا يَزْدَادُ غَيَّا

[١] ا: الحيل.

٢،٥ هذا إذا سلمت العلوم وصحّ السماع وشهد لهم بالمعرفة بالطلب ولزوم المشايخ وحضور المجالس فإن كان في هذا دخل أو وقع عليه اغتصاب أو له اجتذاب فإنّا لله ما دُفع الناس إليه من الافتقار إلى غير مرضيّ به والحاجة إلى غير من يُسكن إليه.

١،٦ وإنّي لأرى أشياء ممّا أمليته قديماً من المعاني التي تجاذبها الشعراء وحملها الناس ولم يعرفوها مصنّفةً مبيّنةً إلّا بعد إيرادي لها قد تحرّمها قوم وأوردوها مفرّقةً في أماليهم فبانت في علومهم وامّازت عن تصنيفهم ونطق مكانها بالغربة فيهم.

٢،٦ وأنت أعزّك الله تشهد لي من بين الناس أنّ أبا موسى الحامض كان يثلبني عندك وتنهاه ويكثر من عيبي والطعن على سائر ما أمليته وأنّه لا فائدة في شيء منه فلمّا توفّي وحملت كتبه إليك وجدتَ أكثر ما أمليته من كتاب الشامل في علم القرآن وكتاب الشبّان والنوادر وما مرّ من شعر أبي نواس قد كتبه كلّه بخطّه واتّخذه أصولاً ينفق منه تفاريق على من يقصده ويطلب فائدته فأكبرت ذلك وكثر منه عجبك.

١،٧ ورأيت صنفاً من الناس بعد ذلك ليس غرض الواحد منهم إلّا أن يقرأ قصائد ويحفظ بعض غريبها ويتعلّم من النحو مسائل وينظر من اللغة في كتاب ثمّ يحضر المجالس غير مستزيد ولا مستفيد فإن وهِم صاحب المجلس في شيء أو نسيه اختلسه وطار به وظنّ أنّه إذ حفظ بيتاً من الشعر أو معنىً من المعاني لم يحفظه صاحب المجلس فوقه وأعلم منه ولعلّ صاحب المجلس يحفظ ألفاً مثل ذلك وأكثر ولو صدّر هذا الجاهل بنفسه ثمّ سئل عن ألف مسألة يجيب فيها المتصدّر كلّها ما أحسن أن يجيب في مسألة واحدة منها.

٢،٧ وكأنّي أعزّك الله بأشدّ الناس حاجةً إلى ما أؤلّفه ممّا تقدّمتُ فيه وأجهلهم به قد ادّعاه بعد إملائي له وأجاب فيه بعد شرحي معانيه لا ينسب ذلك إليّ ولا يعترف به لي ولست أبالي ذلك في رضاك ولا أحفل به مع بلوغ مرادك وعلمك بعجز المدّعين عمّا كلّفتنيه وأنّ أحداً منهم لم يجسر أنْ ينشد قصيدةً من شعر هذا الرجل ضامناً

للقيام بما فيها فضلاً عن إيراد أخباره والاحتجاج لما عيب عليه والتضمّن لجميع شعره والنضح عنه والذبّ عن حريمه والتنبيه عن[1] جيّده ليعلم علوّه في الشعر وتقدّمه في الفهم.

٣،٧ وقد كنت عملت أخبار الفرزدق فدخلتّ في ثلاثمائة ورقة وشرطت فيها ألّا آتي بحرف ذُكر في النقائض إلّا ما لا بدّ منه من ذكر نسبه وأزواجه وغير ذلك ممّا لا يبلغ جميعه ثلاثين ورقة وبدأت بالفرزدق وفي نيّتي عمل أخبار جرير والأخطل بعده على الرسم الذي ذكرته وإنّما بدأت بالفرزدق لشرفه وقوّة أسر كلامه وكثرة معانيه وجميل مذهبه فإنّه كان مائلاً في دولة بني أميّة إلى بني هاشم مجاهراً بفضلهم وتقديمهم وقد جئت بذلك في أخباره ولأنّه يتقدّم عندي الاثنين من طبقته في شعره أعني جريرًا والأخطل ولا أعيب من يقدّم عليه إذ كنّا نجد أئمّة من العلماء لهم فيهم آراء مختلفة وتقديم لبعضهم على بعض ولكنّني في حيّز[2] من يقدّم الفرزدق وابتدأت في عمل أخبار جرير فبلغني أنّ قوماً تضمّنوا عملها على شريطتي خلافاً عليّ وكياداً لي فأمسكت عن إتمامها امتحاناً لصدقهم فمات بعض وبقي آخرون ولم تعمل حتّى الساعة.

٨ وإنّه ليخفّ عليّ من حاجتك ما يثقل عليّ من سواك لتقدّمك وتقدّم أخويك أبي الفتح وأبي القاسم أعزّكم الله في العلم والفهم والدين والصدق ولما أعترف به من فضلكم وأشكره من برّكم فأنتم كما قلت في قصيدة تقدّمت لي في مدحكم أصفكم جميعاً فيها

[الوافر]

١ كذا في ا. ٢ ا: حير.

وَلَا تَنْسَ ٱلتَّفَضُّلَ مِنْ إِلٰهٍ　　عَلَيْكَ بِإِخْوَةٍ نُجَبَاءَ زُهْرِ
يُرَدُّ ٱلطَّرْفُ مِنْ حَذَرٍ عَلَيْكُمْ　　كَأَنَّكُمُ نُجُومٌ حَوْلَ بَدْرِ
أَثَافِي سُؤْدَدٍ تَمَّتْ بِطَوْدٍ　　فَكَانَ مُثَلَّثًا وَنُجُومُ نَسْرِ
وَأَشْبُلُ غَيْضَةٍ تَحْمِي عَرِينًا　　وَأَسْهُمُ صَائِبٍ جَاءَتْ لِقَدْرِ
فَعُمِّيَ عَنْكُمُ طَرْفُ ٱلْمَنَايَا　　وَقُلِّمَ مِنْ شَبَاهَا كُلُّ ظُفْرِ
وَلَا زَالَ ٱلْعَدُوُّ لَكُمْ مُطِيعًا　　مُقَارِنَ ذِلَّةٍ وَحَلِيفَ صُغْرِ

١،٩ وأنا مبتدئ بالجواب عن خلاف بعض الناس في أبي تمّام والأسباب التي وقع لها ذلك إن شاء الله. أمّا ما حكي عن بعض العلماء في اجتناب[1] شعره وعيبه ولا أسمّي منهم أحدًا لصيانتي لأهل العلم جميعًا وإبقائي عليهم وحياطتي لهم فلا تُنكر أنْ يقع ذلك منهم لأنّ أشعار الأوائل قد ذلّلت لهم وكثرت لها روايتهم ووجدوا أئمّة قد ماشوها لهم وراضوا معانيها فهم يقرءونها سالكين سبيل غيرهم في تفاسيرها واستجادة جيّدها وعيب رديئها وألفاظ القدماء وإن تفاضلت فإنّها تتشابه وبعضُها آخذٌ برقاب بعض فيستدلّون بما عرفوه منها على ما أنكروه ويقوون على صعبها بما ذلّلوه.

٢،٩ ولم يجدوا في شعر المحدَثين مذ عهد بشّار أئمّةً كأئمّتهم ولا رواةً كرواتهم الذين تجتمع فيهم شرائطهم ولم يعرفوا ما كان يضبطه ويقوم به وقصّروا فيه فجهلوه فعادوه كما قال الله جلّ وعزّ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ وكما قيل الإنسان عدوّ ما جهل ومن جهل شيئًا عاداه. وفرّ العالم منهم من قوله إذا سئل أن يُقرأ عليه شعر بشّار وأبي نواس ومُسلِم وأبي تمّام وغيرهم من لا أحسن إلى الطعن وخاصةً على أبي تمّام لأنّه أقربهم عهدًا وأصعبهم شعرًا وكيف لا يفرّ إلى هذا من يقول اقرءوا عليّ شعر الأوائل حتّى إذا سئل عن شيء من أشعار هؤلاء جهله وإلى أيّ شيء يلجأ إلّا إلى الطعن على ما لم يعرفه ولو أنصف لتعلّم هذا من أهله كما تعلّم غيرَه فكان متقدّمًا في علمه إذ كان التعلّم غير محظور على أحد ولا مخصوص به أحد.

---

[1] ا: اجساب.

١،١٠ ولقد حدّثني بنو نَوْبَخْت[١] وما رأيت أبا العبّاس أحمد بن يحيى على جلالته عند أحد أجلّ منه عندهم وكلّهم ينتسب إليه في تعلّمه أنّه قال لهم أنا أعاشر الكتّاب كثيرًا وخاصّةً أبا العبّاس بن ثَوَابَة وأكثر ما يجري في مجالسهم شعر أبي تمّام ولست أعلمه فاختاروا لي منه شيئًا. فاخترنا منه له ودفعناه إليه فمضى به إلى ابن ثوابة فاستحسنه فقال له إنّه ليس ممّا اخترت وإنّما اختاره لي بنو نَوْبَخْت.

٢،١٠ قال فكان ينشدنا البيت من شعره ثمّ يقول ما أراد بهذا فنشرحه له فيقول أحسن والله وأجاد. فهذا[٢] قصّة إمام من أئمّة الطاعنين عليه عندهم.

١،١١ وأمّا الصنف الآخر فأنا أذكرهم بعد فراغي من فصل عنّ لي في ذكر المحدثين إن شاء الله. إعلم أعزّك الله أنّ ألفاظ المحدثين مذ عهد بشّار إلى وقتنا هذا كالمنتقلة إلى معان أبدع وألفاظ أقرب وكلام أرقّ وإن كان السبق للأوائل بحقّ الاختراع والابتداء والطبع والاكتفاء وأنّه لم تر أعينهم ما رآه المحدثون فشبّهوه عيانًا كما لم ير المحدثون ما وصفوه هم مشاهدةً وعانوه مدّة دهرهم من ذكر الصحارى والبرّ والوحش والإبل والأخبية. فهم في هذه أبدًا دون القدماء كما أنّ القدماء فيما لم يروه أبدًا دونهم وقد بيّن هذا أبو نواس بقوله [الكامل]

صِفَةُ ٱلطُّلُولِ بَلَاغَةُ ٱلْقِدَمِ ... فَٱجْعَلْ صِفَاتِكَ لِٱبْنَةِ ٱلْكَرْمِ

ثمّ يقول فيها

تَصِفُ ٱلطُّلُولَ عَلَى ٱلسَّمَاعِ بِهَا ... أَفَذُو ٱلْعِيَانِ كَأَنْتَ فِي ٱلْفَهْمِ
وَإِذَا وَصَفْتَ ٱلشَّيْءَ مُتَّبِعًا ... لَمْ تَخْلُ مِنْ زَلَلٍ وَمِنْ وَهْمِ

---

١ ا: نيبخت. ٢ كذا في ا.

ولأنّ المتأخّرين إنّما يجرون بريح المتقدّمين ويصبّون على قوالبهم ويستمدّون بلغاتهم[1] وينتجعون كلامهم وقلّما أخذ أحد منهم معنىً من متقدّم إلّا أجاده.

٢،١١ وقد وجدنا في شعر هؤلاء معاني لم يتكلّم القدماء بها ومعاني أومأوا إليها فأتى بها هؤلاء وأحسنوا فيها وشعرهم مع ذلك أشبه بالزمان والناس له أكثر استعمالاً في مجالسهم وكتبهم وتمثّلهم ومطالبهم.

١،١٢ وقد استحسن الناس أعزّك الله لامرئ القيس تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد قالوا لا يقدر أحد بعده على أن يأتي بمثله وهو قوله في وصف عقاب [الطويل]

كَأَنَّ قُلُوبَ ٱلطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً   لَدَى وَكْرِهَا ٱلْعُنَّابُ وَٱلْحَشَفُ ٱلْبَالِي

ولقد أحسن فيه وأجمل.

٢،١٢ فقال بشّار [الطويل]

كَأَنَّ مُثَارَ ٱلنَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا   وَأَسْيافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَتْ كَوَاكِبُهْ

وهذا أعمى أكمه لم ير هذا بعينه قطّ فشبّهه حدساً فأحسن وأجمل وشبّه شيئين بشيئين في بيت.

٣،١٢ وقد نحا هذا منصور النَّمَرِيّ فقال [البسيط]

لَيْلٌ مِنَ ٱلنَّقْعِ لا نَجْمٌ وَلَا قَمَرٌ   إِلَّا جَبِينُكَ وَٱلْمَذْرُوبَةُ ٱلشُّرُعُ

٤،١٢ وقال العتّابيّ [البسيط]

تَبْنِي سَنابِكُهَا مِنْ فَوْقِ رُوسِهِمُ   سَقْفاً كَوَاكِبُهُ ٱلْبِيضُ ٱلْمَبَاتِيرُ

---

[1] ا: بلعابهم.

١،١٣ واستحسنوا قول النابغة يعتذر إلى النعمان في كلمة [الطويل]

فَإِنَّكَ كَٱللَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُدْرِكِي　　وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ ٱلْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ
خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ　　تُمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ

٢،١٣ فقال سَلْمٌ الخاسر يعتذر إلى المهديّ في أبيات [البسيط]

إِنِّي أَعُوذُ بِخَيْرِ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمُ　　وَأَنْتَ ذَاكَ بِمَا تَأْتِي وَتَجْتَنِبُ
وَأَنْتَ كَٱلدَّهْرِ مَبْثُوثًا حَبَائِلُهُ　　وَٱلدَّهْرُ لَا مَلْجَأٌ مِنْهُ وَلَا هَرَبُ
وَلَوْ مَلَكْتُ عِنَانَ ٱلرِّيحِ أَصْرِفُهُ　　فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا فَاتَكَ ٱلطَّلَبُ

٣،١٣ وهذا البيت من قول الفرزدق للحجّاج [طويل]

وَلَوْ حَمَلَتْنِي ٱلرِّيحُ ثُمَّ طَلَبْتَنِي　　لَكُنْتُ كَشَيْءٍ أَدْرَكَتْهُ مَقَادِرُهْ

فجعل حِيال وَإِنَّكَ كَٱللَّيْلِ وَأَنْتَ كَٱلدَّهْرِ وجعل حِيال خَطَاطِيفُ حُجْنٌ وَلَوْ مَلَكْتُ عِنَانَ ٱلرِّيحِ وأحسن.

٤،١٣ على أنّ عليّ بن جَبَلَة قد مدح بمثل معنى النابغة حُمَيدًا فقال [الطويل]

وَمَا لِٱمْرِئٍ حَاوَلْتَهُ عَنْكَ مَهْرَبٌ　　وَلَوْ رَفَعَتْهُ فِي ٱلسَّمَاءِ ٱلْمَطَالِعُ
بَلَى هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ　　ظَلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ ٱلصُّبْحِ سَاطِعُ

فلابن جبلة أنّه زاد في المعنى وأشبعه وعليه أنّه جاء به في بيتين والنابغة جاء به في بيت وله السبق.

٥،١٣ ومثل قول ابن جبلة وَلَوْ رَفَعَتْهُ فِي ٱلسَّمَاءِ ٱلْمَطَالِعُ قول البحتريّ [الكامل]

سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ ٱلدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ   مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا
وَلَوَ ٱنَّهُمْ رَكِبُوا ٱلْكَوَاكِبَ لَمْ يَكُنْ   لِمُجِدِّهِمْ عَنْ أَخْذِ بَأْسِكَ مَهْرَبُ

وقول سَلْمٍ وَأَنْتَ كَٱلدَّهْرِ مأخوذ من قول الأخطل [الطويل] ٦،١٣

وَإِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ   لَكَٱلدَّهْرِ لا عَارٌ بِمَا فَعَلَ ٱلدَّهْرُ

وأحسن ما قال الأوائل في الأوطان ومحبّتها والتشوّق إليها ما أنشدني أبو أحمد يحيى ١،١٤
وغيره [الطويل]

بِلَادٌ بِهَا حَلَّ ٱلشَّبَابُ تَمَائِمِي   وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا

وقال ابن مَيَّادة [الطويل] ٢،١٤

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً   بِحَرَّةِ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّبَنِي أَهْلِي
بِلَادٌ بِهَا نِيطَتْ عَلَيَّ قَلَائِدِي   وَقُطِّعْنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ تِلْكَ ٱلْمَوَاطِنِ حَابِسِي   فَأَفْشِ عَلَيَّ ٱلرِّزْقَ وَٱجْمَعْ إِذَنْ شَمْلِي

إلى شبيه بهذا.

فجاء ابن الروميّ فذكر الوطن وبيّن عن العلّة التي لها يحَبّ وجمع ما فرّقوه في أبيات ٣،١٤
من قصيدة فقال [الطويل]

وَلِي وَطَنٌ آلَيْتُ أَلَّا أَبِيعَهُ وَأَلَّا أَرَى غَيْرِي لَهُ ٱلدَّهْرَ مَالِكَا
عَهِدْتُ بِهِ شَرْخَ ٱلشَّبَابِ وَنِعْمَةً كَنِعْمَةِ قَوْمٍ أَصْبَحُوا فِي ظِلَالِكَا
فَقَدْ أَلِفَتْهُ ٱلنَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَهَا جَسَدٌ إِنْ غَابَ غُودِرْتُ هَالِكَا
وَحَبَّبَ أَوْطَانَ ٱلرِّجَالِ إِلَيْهِمُ مَآرِبُ قَضَّاهَا ٱلشَّبَابُ هُنَالِكَا
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَّرَتْهُمُ عُهُودَ ٱلصِّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَا

واستحسن الناس للنابغة فيما يقلّ وصفُه [الكامل] ١،١٥

وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدِفٍ رَابِي ٱلْمَجَسَّةِ بِٱلْعَبِيرِ مُقَرْمَدِ
وَإِذَا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عَنْ مُسْتَحْصِفٍ نَزْعَ ٱلْحَزَوَّرِ بِٱلرِّشَاءِ ٱلْمُحْصَدِ

وقال غيره في هذا المعنى وزاد ونقص فجمع ابن الروميّ ما فرّقوه في ثلاثة أبيات ٢،١٥
فقال [المنسرح]

لَهَا حِرٌ تَسْتَعِيرُ وَقْدَتَهَا مِنْ قَلْبِ صَبٍّ وَصَدْرِ ذِي حَنَقِ
كَأَنَّمَا حَرُّهُ لِخَابِرِهِ مَا أُلْهِبَتْ فِي حَشَاهُ مِنْ حُرَقِ
يَزْدَادُ ضِيقًا عَلَى ٱلْمِرَاسِ كَمَا تَزْدَادُ ضِيقًا أُنْشُوطَةُ ٱلْوَهَقِ

وفي هذه القصيدة وصف سوداء ولها عنى بما مضى فتقدّم الناس في الوصف فقال ١٦

أَكْسَبَهَا ٱلْحُبَّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْحَدَقِ
فَٱنْصَرَفَتْ نَحْوَهَا ٱلضَّمَائِرُ وَٱلْأَ بْصَارُ يُعْنِقْنَ أَيَّمَا عَنَقِ

وإنّما جئتُ بابن الرومىّ لأنّه ممّن رأيت وشاهدت وهوأقرب المحسنين عهداً وآخرهم موتاً ولو ترفّعت إلى أبي تمّام ومسلم وأبي العتاهية وأبي نواس وبشّار لرأيت مثل هذا يكثر فكنت أخرج ممّا قصدتُ إلى غيره.

حدّثنا محمّد بن سعيد قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن الأصمعيّ قال كان الناس يقدّمون قول أبي النجم [الرجز] ١،١٧

كَأَنَّ تَحْتَ دِرْعِهَا ٱلْمُنْعَطِّ   إِذَا بَدَا مِنْهَا ٱلَّذِي تُغَطِّي
شَطًّا رَمَيْتَ فَوْقَهُ[1] بِشَطِّ   ضَخْمَ ٱلْقَذَالِ حَسَنَ ٱلْمَخَطِّ
كَأَنَّهُ قُطَّ عَلَى مِقَطِّ   كَهَامَةِ ٱلشَّيْخِ ٱلْيَمَانِي ٱلشَّطِّ
لَمْ يَعْلُ[2] فِي ٱلْبَطْنِ وَلَمْ يَنْحَطِّ

حتّى قال بشّار [السريع] ٢،١٧

عَجْزَاءُ مِنْ سِرِّ بَنِي مَالِكٍ   لَهَا حِرٌ مِنْ بَطْنِهَا أَرْفَعُ
زُيِّنَ أَعْلَاهُ بِإِشْرَافِهِ   وَٱنْضَمَّ مِنْ أَسْفَلِهِ ٱلْمَشْرَعُ

فعفّى على ذلك فحفظه الناس وقدّموه.

وقد أكثر الناس في ذكر الشيب من قدماء الجاهليّة والإسلام فأجمع الحذّاق بعلم الشعر وتمييز ألفاظه أنّه لم يُقل فيه أحسن من قول منصور النمريّ ووقع الإجماع عليه فما ضرّه تأخّره إذ وقع الأجود له وهو قوله [البسيط] ١٨

مَا تَنْقَضِي حَسْرَةٌ مِنِّي وَلَا جَزَعُ   إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ
بَانَ ٱلشَّبَابُ وَفَاتَتْنِي بِشِرَّتِهِ   صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٌ لَهَا خُدَعُ
مَا كُنْتُ أُعْطِي شَبَابِي كُنْهَ غِرَّتِهِ   حَتَّى مَضَى فَإِذَا ٱلدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ
إِنْ كُنْتِ لَمْ تَطْعَمِي ثُكْلَ ٱلشَّبَابِ وَلَمْ   تَشْجَيْ بِغُصَّتِهِ فَٱلْعُذْرُ لَا يَقَعُ
أَبْكِي شَبَابًا سُلِبْنَاهُ وَكَانَ وَلَا   تُوفِي بِقِيمَتِهِ ٱلدُّنْيَا وَمَا تَسَعُ
مَا وَاجَهَ ٱلشَّيْبَ مِنْ عَيْنٍ وَإِنْ وَمِقَتْ   إِلَّا لَهَا نَبْوَةٌ عَنْهُ وَمُرْتَدَعُ

١ ا: رميت تحته. ٢ ا: يعد، وكتب تحته: يعل.

فأمّا الصنف الثاني ممّن يعيب أبا تمّام فمن يجعل ذلك سبباً لنباهة واستجلاباً لمعرفة إذ كان ساقطاً خاملاً فألّف في الطعن عليه كتباً واستغوى عليه قوماً ليُعرَف بخلاف الناس وليجري له ذكر في النقص إذ لم يقع له حظّ في الزيادة ومكسب بالخطأ إذ حُرمه من جهة الصواب. وقد قيل خالفْ تُذكَر ولعلّه ظنّ أنّ هذا مثل قول الشاعر وهو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر [الطويل] ١،١٩

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا   يُرَجَّى ٱلْفَتَى كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا

وقال آخر إذا فاتك الخيرُ فارفع علماً في الشرّ واحتجّ آخر في قوله الشعر الرديء بأنّه إنّما أراد أن يُذكر به فقال [الخفيف] ٢،١٩

سَوْفَ أَهْجُوكَ إِنْ بَقِيتُ بِشِعْرٍ   لَيْسَ إِنْ قَوَّمُوهُ فَلْسَيْنِ يَسْوَى
وَيَقُولُونَ ذَا رَدِيءٌ وَحَسْبِي   أَنْ يَقُولُوا لَهُ رَدِيءٌ وَيُرْوَى

وقال عبد الوهّاب المدائنيّ [البسيط] ٣،١٩

وَمَا كُلُّ أَهْلِ ٱلْوِتْرِ يُجْزَى بِقَرْضِهِ   أَلَا إِنَّمَا تُجْزَى قُرُوضُ ٱلْأَكَارِمِ
وَذِكْرُ ذُنُوبِ ٱلْوَغْدِ يَرْفَعُ قَدْرَهُ   وَإِنْ عَبَثَتْ أَطْرَافُهُ بِٱلْمَظَالِمِ

حدّثنا الحسين بن الحسن الأزديّ قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال ٤،١٩
قالت أعرابيّة لابنها إذا جالستَ الناس فأحسنت أن تقول كما يقولون فقل وإلّا فخالف تذكر ولو أن تعلّق في عنقك أيرحمار.

وسأذكر شيئاً ممّا عابه عليه من لا يدري وأبيّنه لك أعزّك الله هاهنا إلى أن يمرّ غيره في موضعه من شعره إن شاء الله. ١،٢٠

٢،٢٠ عابوا أعزّك الله قوله في قصيدته التي أحسن فيها كلّ الإحسان ومدح بها المعتصم وذكر فتح عَمُّورِيَّة وأوّل هذه القصيدة [البسيط]

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ

فعابوا قوله فيها

تِسْعُونَ أَلْفاً كَآسَادِ ٱلشَّرَى نَضِجَتْ ... أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نَضْجِ ٱلتِّينِ وَٱلْعِنَبِ

٣،٢٠ فإن كان هذا لأنّ التين والعنب ليس ممّا يذكر في الشعر وأنّه مستهجَن فقد قال ابن قَيْس الرُقَيّات[1] [المنسرح]

سَقْياً لِحُلْوَانَ ذِي ٱلْكُرُومِ وَمَا ... صَنَّفَ مِنْ تِينِهِ وَمِنْ عِنَبِهْ

٤،٢٠ وأنشد الفَرّاء في مَدّ العنب [الرجز]

كَأَنَّهُ مِنْ ثَمَرِ ٱلْبَسَاتِينْ ... ٱلْعِنَبَاءُ ٱلْمُتَنَقَّى وَٱلتِّينْ

وإن كان العيب لِمَ خصّهما دون غيرهما فقد كان يجب أن يتعلّم هؤلاء أوّلاً ويطلبوا ثمّ يتكلّمون ويعيبون.

٥،٢٠ حدّثني أبو مالك عَوْنُ بن محمّد الكِنديّ كاتب حُجْر بن أحمد وما رأيت أعلم بشعر أبي تمّام منه وكان قد قرأ على أبي تمّام عشرين قصيدة من شعره وقرأتها عليه سنة خمس وثمانين فقرأت هذه القصيدة عليه فلمّا بلغت إلى هذا البيت سألته عن معناه وعن عيب الناس له فقال حدّثني أبي قال

غزوت عَمُّورِيَّة مع المعتصم فبلغه أنّ الروم قالوا وقد أناخ عليهم والله إنّا لنروي أنّه لا يفتح حصننا إلّا أولاد الزنا وإن هؤلاء أقاموا إلى زمان التين والعنب لا يفلت

[1] ا: ابن الرُقَيّات.

منهم أحد فبلغ ذلك المعتصم فقال أمّا إلى وقت التين والعنب فأرجو أن ينصرني الله عزّ وجلّ قبل ذلك وأمّا قولهم لا يفتحها إلّا أولاد الزنا فما أريد أكثر ممّن معي منهم.

قال أبو مالك فأظنّ أبا تمّام ذكر هذا المعنى في بيته.

٦،٢٠ قال أبو بكر وقد سنح لي في صحّة هذا الخبر ابتداء أبي تمّام به وقوله السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ فكأنّه أشار إلى هذا.

ولو وهم أبو تمّام في بعض شعره أو قصّر في شيء منه لما كان من ذلك مستحقًّا أن يبطل إحسانه كما أنّه قد عاب العلماء على امرئ القيس ومن دونه من الشعراء القدماء والمحدثين أشياء كثيرة أخطأوا الوصف فيها وغير ذلك ممّا يطول شرحه فما سقطت بذلك مراتبهم فكيف خُصّ أبو تمّام وحده بذلك لولا شدّة التعصّب وغلبة الجهل؟

١،٢١ وعابوا قوله وأسقطوه عند أنفسهم [الكامل]

مَا زَالَ يَهْذِي بِٱلْمَوَاهِبِ دَائِبًا   حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ مَحْمُومُ

٢،٢١ فكيف لم يسقطوا أبا نواس بقوله في العبّاس بن عُبيد الله بن جعفر [الرمل]

جُدْتَ بِٱلْأَمْوَالِ حَتَّىٰ   قِيلَ مَا هٰذَا صَحِيحُ

والمحموم أحسن حالاً من المجنون لأنّ هذا يبرأ فيعود صحيحًا كما كان والمجنون قلّما يتخلّص. فأبو تمّام في تشبيهه الإفراط في الإعطاء والبذل بإكثار المحموم أعذر من أبي نواس إذ شبّهه بفعل المجنون.

٣،٢١ ولِم لم يعيبوا قول الآخر [الكامل]

بَطَلٌ تَنَاذَرَهُ ٱلْكُمَاةُ كَأَنَّهُ   مِمَّا يُدِلُّ عَلَى ٱلْفَوَارِسِ أَحْمَقُ

فصيّر إفراطه في شجاعته كفعل الأحمق الذي لا يميّز.

وقد قال عُبيد اللّصّ العَنبَريّ قبل فألمّ بهذا المعنى إلّا أنّه قسمه [الكامل] ٤،٢١

مَا كَانَ يُعْطِي مِثْلَهَا فِي مِثْلِهِ   إِلَّا كَرِيمُ ٱلْخِيمِ أَوْ مَجْنُونُ

وكيف رضوا قول البحتريّ في هذا [الطويل] ٥،٢١

إِذَا مَعْشَرٌ صَانُوا ٱلسَّمَاحَ تَعَسَّفَتْ   بِهِ هِمَّةٌ مَجْنُونَةٌ فِي ٱبْتِذَالِهِ

وقد قال أبو نواس [الرمل] ٦،٢١

جُدْتَ بِٱلْأَمْوَالِ حَتَّى   حَسِبُوهُ ٱلنَّاسُ حُمْقَا

وعابوا قوله [الكامل] ١،٢٢

لَا تَسْقِنِي مَاءَ ٱلْمَلَامِ فَإِنَّنِي   صَبٌّ قَدِ ٱسْتَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي

فقالوا ما معنى ماء الملام؟ وهم يقولون كلامٌ كثير الماء وما أكثر ماء شعر الأخطل قاله يونس بن حبيب. ويقولون ماء الصبابة وماء الهوى يريدون الدمع.

قال ذو الرُّمّة [البسيط] ٢،٢٢

أَأَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً   مَاءُ ٱلصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ

وقال أيضاً [الطويل]

أَدَاراً بِحُزْوَى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً   فَمَاءُ ٱلْهَوَى يَرْفَضُّ أَوْ يَتَرَقْرَقُ

وقال عبد الصمد وهو محسن عند من يطعن على أبي تمّام وغيرهم [الخفيف] ٣،٢٢

أَيُّ مـَاءٍ لِمَـاءِ وَجْـهِكَ يَبْـقَى بَعْدَ ذُلِّ ٱلْهَوَى وذُلِّ ٱلسُّؤَالِ

فصيّر لماء الوجه ماءً.

وقالوا ماء الشباب قال أبو العَتاهِيَة [الكامل] ٤،٢٢

ظَبْيٌ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَلَاحَةِ حُلَّةٌ مَاءُ ٱلشَّبَابِ يَجُولُ فِي وَجَنَاتِهِ

وهو من قول ابن أبي ربيعة [الخفيف] ٥،٢٢

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ ٱلْخَدَّيْنِ مَاءُ ٱلشَّبَابِ

وقال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل [الخفيف] ٦،٢٢

أَهْيَفُ مَاءُ ٱلشَّبَابِ يَرْعَدُ فِي خَدَّيْهِ لَوْلَا أَدِيمُهُ قَطَرَا

وأنشدني محمّد بن عبد الله التميميّ قال أنشدني ابن السكّيت [الرجز] ٧،٢٢

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَاءُ صِبَاكَ يُرْعَشُ وَإِذْ أَهَاضِيبُ ٱلشَّبَابِ تَبْغَشُ

فما يكون أن استعار أبو تمّام من هذا كلّه حرفًا فجاء به في صدر بيته. لمّا قال في آخره فَإِنَّنِي صَبٌّ قَدِ ٱسْتَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي قال في أوّله لَا تَسْقِنِي مَاءَ ٱلْمَلَامِ؟

٨،٢٢ وقد تحمل العرب اللفظ على اللفظ فيما لا يستوي معناه. قال الله جلّ وعزّ ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ والسيّئة الثانية ليست بسيئة لأنّها مجازاة ولكنّه لمّا قال ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ قال ﴿سَيِّئَةٌ﴾ فحمل اللفظ على اللفظ وكذلك ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ وكذلك ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. لمّا قال ﴿بَشِّرْ هٰؤُلَاءِ بِٱلْجَنَّةِ﴾ قال ﴿بَشِّرْ هٰؤُلَاءِ بِٱلْعَذَابِ﴾ والبِشارة إنّما تكون في الخير لا في الشرّ فحمل اللفظ على اللفظ. ويقال إنّما قيل لها بشارة لأنّها تبسط الوجه فأمّا الشرّ والكراهة فإنّهما يقبضانه كما قال

الأعشى [الطويل]

يَزِيدُ يَغُضُّ ٱلطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا   زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ ٱلْمَحَاجِمُ
فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا ٱنْزَوَى   وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

وقال الله عزّ وجلّ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ فهذا أجلّ استعارة وأحسنها. وكلام العرب جار عليها فما يكون أن قال أبو تمّام لَا تَسْقِنِي مَاءَ المَلَامِ؟

٩،٢٢ وقال العتّابيّ [الكامل]

أُكَاتِمُ لَوْعَاتِ ٱلْهَوَى وَيُبِينُهَا   تَخَلُّلُ[1] مَاءِ ٱلشَّوْقِ بَيْنَ جُفُونِي

١٠،٢٢ وقال أبو نواس [الكامل]

لَمَّا نَدَبْتُكَ لِلْجَزِيلِ أَجَبْتَنِي   لَبَّيْكَ وَٱسْتَعْذَبْتَ مَاءَ كَلَامِي

فهذا أعزّك الله زائد لعذره وعنوان للاحتجاج عنه إلى أن تسمع في شعره جميعَه إن شاء الله.

١،٢٣ ولو عرف هؤلاء ما أنكره الناس على الشعراء الحذّاق من القدماء والمحدثين لكثُر حتّى يقلّ عندهم ماعابوه على أبي تمّام إذا اعتقدوا الإنصاف ونظروا بعينه. ومنزلة عائب أبي تمّام، وهو رأس في الشعر مبتدئ لمذهب سلكه كلّ محسن بعده فلم يبلغه فيه حتّى قيل مذهب الطائيّ وكلّ حاذق بعده يُنسب إليه ويقفّي أثره، منزلةٌ حقيرة يُصان عن ذكرها الذمّ ويرتفع عنها الوهد.

٢،٢٣ وقد كان الشعراء قبل أبي تمّام يبدعون في البيت والبيتين من القصيدة فيُعتدّ بذلك لهم من أجلّ الإحسان وأبو تمّام أخذ نفسه وسام طبعه أن يبدع في أكثر

١ ا: ويُلينها تحلّك.

شعره فلعمري لقد فعل وأحسن ولو قصّر في قليل وما قصّر لغرق ذلك في بحور إحسانه ومَن الكامل في شيء حتّى لا يجوز عليه خطأ فيه إلّا ما يتوهّمه من لا عقل له؟

٣،٢٣ ومن العلوم خاصّ وعامّ ومصون ومبذول فلا ينبغي لمن عرف عامّه أن يجهل خاصّه ولا لمن شرع في مبذوله أن ينكر مصونه وإنّما أجريتُ هذا لئلّا يجسر على الحكم على الشعراء وتمييز ألفاظهم والحكم بالجيّد والرديء لهم من لم يكن أعلم الناس بالكلام منظومه ومنثوره وأقدر الناس على شيء متى أراده منه وأحفظهم لأخذ الشعراء وأعلمهم بمغازيهم ومقصدهم.

٤،٢٣ فأمّا من لا يحسن أن يعمل بيتاً جيّداً ولا يكتب رقعة بليغة ولا ينال حفظُه ما قالته الشعراء في عشرة معانٍ من عشرة آلاف معنى قد قالت فيه فكيف يجسر على ادّعاء هذا وكيف يسوّغه إيّاه من سمعه منه؟ وليت أبا تمّام مُني بعيب مَن يجلّ في علم الشعر قدره أو يحسن به علمه ولكنّه مُني بمن لا يعرف جيّداً ولا ينكر رديئاً إلّا بالادّعاء.

٥،٢٣ وهذا كما قال زياد بن عُبيد الله الحارثيّ [الوافر]

فَلَوْ أَنِّي بُلِيتُ بِهَاشِمِيٍّ خُؤُولَتُهُ بَنُو عَبْدِ ٱلْمَدَانِ
صَبَرْتُ عَلَى مَقَالَتِهِ وَلٰكِنْ تَعَالَيْ فَٱنْظُرِي بِمَنِ ٱبْتَلَانِي

٦،٢٣ وأنشد العُتْبيّ [الطويل]

فَلَوْ أَنَّ لَحْمِي إِذْ وَهَى لَعِبَتْ بِهِ أُسُودٌ كِرَامٌ أَوْ ضِبَاعٌ وَأَذْؤُبُ
لَهَوَّنَ مِنْ وَجْدِي وَسَلَّى مُصِيبَتِي وَلٰكِنَّمَا أَوْدَى بِلَحْمِيَ أَكْلُبُ

٧،٢٣ وقد سنح لي في جهل هذه الطبقة وغفلة مصدّقيهم على ادّعائهم معرفة ما لا يحسنونه قول الشاعر [الكامل]

مَنْ لَيْسَ يَدْرِي مَا يُرِيـ ـدُ[١] فَكَيْفَ يَدْرِي مَا نُرِيدُ

وهذه أبيات أوّلها

مَا لِي أَرَاكَ مُسَيَّبًا أَيْنَ ٱلسَّلَاسِلُ وَٱلْقُيُودُ
أَغَلَا ٱلْحَدِيدُ بِأَرْضِكُمْ أَمْ لَيْسَ يَضْبُطُكَ ٱلْحَدِيدُ

٨،٢٣ حدّثني أبو سليمان النابُلسيّ قال
دخل رجل على أيّوب بن أحمد بِبَرْقَعيد[٢] فأنشده شعرًا فجعل يعاتب جاريته ولا يستمع منه فخرج فقال [الكامل]

أَدَبٌ لَعَمْرُكَ فَاسِدٌ مِمَّا تُؤَدِّبُ بَرْقَعِيدُ
مَنْ لَيْسَ يَدْرِي مَا يُرِيـ ـدُ فَكَيْفَ يَدْرِي مَا نُرِيدُ[٣]
مَنْ لَيْسَ يَضْبُطُهُ ٱلْحَدِيـ ـدُ فَكَيْفَ يَضْبُطُهُ ٱلْقَصِيدُ
عَقْلٌ هُنَالِكَ مُخْلِقٌ وَٱلْحُمْقُ مُقْتَبَلٌ[٤] جَدِيدُ

٩،٢٣ وأنشدني يحيى بن عليّ في الزجّاج [الخفيف]

فَتَعَالَى ٱلْإِلٰهُ مَا أَبْلَدَ ٱلْمَأْ فُونَ مُسْتَنْطَقًا وَمَا أَعْيَاهُ
مَا رَأَيْنَا مَعَ ٱلْمُضَعَّفِ مِمَّا يَدَّعِي عِلْمَهُ سِوَى دَعْوَاهُ

١،٢٤ ولولا ما اضطُررتُ إليه من الاحتجاج لما ندبتَني له لما كان لمثل هؤلاء خاطر في فكري ولا طريق على لساني ولا أهّلت منهم أحدًا لذمّي وقد أحسن مسلم في قوله في مثل هذا المعنى [الكامل]

١ ا: تريد. ٢ ا: برقعيد. ٣ ا: تريد. ٤ كذا في ا.

أَمُوَيْسُ قُلْ لِي أَيْنَ أَنْتَ مِنَ ٱلْوَرَى   لَا أَنْتَ مَعْلُومٌ وَلَا مَجْهُولُ
أَمَّا ٱلْهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ   وَٱلْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَٱذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ   عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

وقال عليّ بن يحيى [الكامل] ٢،٢٤

اِذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْ   ضِكَ ذَلَّ حَتَّى قَدْ حَمَاكَا
إِنَّ ٱلْمُضَيِّعَ شِعْرَهُ   عَيْنَ ٱلْمُضَيِّعِ مَنْ هَجَاكَا
إِنِّي سَأَصْرِفُ صَائِنًا   عَنْكَ ٱلْهِجَاءَ إِلَى سِوَاكَا
أَسَلُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْبَرِيَّـ   ـةَ أَنْ يَرَاكَ كَمَا أَرَاكَا

كأنّ هذا البيت مأخوذ من قول أبي هشام لبشّار [الوافر] ٣،٢٤

بِذِلَّةِ وَالِدَيْكَ كَسَبْتَ عِزًّا   وَبِٱللُّؤْمِ ٱجْتَرَأْتَ عَلَى ٱلْجَوَابِ

وقال مُسلم يهجو العبّاس بن الأحنف [البسيط] ٤،٢٤

بَنُو حَنِيفَةَ لَا يَرْضَى ٱلدَّعِيُّ بِهِمْ   فَٱتْرُكْ حَنِيفَةَ وَٱطْلُبْ غَيْرَهَا نَسَبَا
اِذْهَبْ إِلَى عَرَبٍ يَرْضَى بِدَعْوَتِهِمْ   إِنِّي أَرَى لَكَ وَجْهًا يُشْبِهُ ٱلْعَرَبَا
مُنِيتَ مَنِّي وَقَدْ جَدَّ ٱلْجِرَاءُ بِنَا   بِغَايَةٍ مَنَعَتْكَ ٱلْفَوْتَ وَٱلطَّلَبَا
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ ٱلْحِلْمِ مُرْتَهَنٌ   بِسَوْرَةِ ٱلْجَهْلِ مَا لَمْ أَمْلِكِ ٱلْغَضَبَا

وقال إبراهيم بن العبّاس الصوليّ لمحمّد بن عبد الملك [المتقارب] ٥،٢٤

فَكُنْ[١] كَيْفَ شِئْتَ وَقُلْ مَا تَشَاءُ   وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَأَرْعِدْ شِمَالَا
نَجَا بِكَ لُؤْمُكَ مَنْجَى ٱلذُّبَابِ   حَمَتْهُ مَقَاذِرُهُ أَنْ يُنَالَا

١ ا: كن.

وهم كما قال أبو نواس [الوافر] ٦،٢٤

بِمَا أَهْجُوكَ لَا أَدْرِي ... لِسَانِي فِيكَ لَا يَجْرِي
إِذَا فَكَّرْتُ فِي عِرْضِـ ... ـكَ أَشْفَقْتُ عَلَى شِعْرِي

وكما قال عليّ بن يحيى [السريع] ٧،٢٤

إِذَا وَضَعْنَاكَ رَفَعْنَاكَا ... وَإِنْ هَجَوْنَاكَ مَدَحْنَاكَا
وَكَيْفَ يُهْجَى رَجُلٌ قَدْرُهُ ... أَعَانَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكَا

ونحو هذا [الكامل] ٨،٢٤

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ[١] أَنَّ قُبْحًا كَائِنًا ... حُسْنًا وَلَا حَسَنًا يَكُونُ قَبِيحَا
حَتَّى هَجَوْتُ بِكُلِّ قَوْلٍ مُقْذِعٍ ... يَحْيَى فَكَانَ لَهُ ٱلْهِجَاءُ مَدِيحَا

وقال الحُطَيْئَة [الطويل] ٩،٢٤

فَمَنْ أَنْتُمُ إِنَّا نَسِينَا مَنَ ٱنْتُمُ ... وَرِيحُكُمُ مِنْ أَيِّ رِيحِ ٱلْأَعَاصِرِ
أَأَنْتُمْ أُولَى جِئْتُمْ مَعَ ٱلْبَقْلِ وَٱلدَّبَا ... فَطَارَا[٢] وَهٰذَا شَخْصُكُمْ غَيْرُ طَائِرِ
أَرِيحُوا ٱلْبِلَادَ مِنْكُمُ وَتَحَمَّلُوا ... عَلَى سَوْءَةٍ فِعْلَ ٱلْإِمَاءِ ٱلْعَوَاهِرِ

وقال آخر [السريع] ١٠،٢٤

شَاتَمَنِي عَبْدُ بَنِي مِسْمَعٍ ... فَصُنْتُ عَنْهُ ٱلنَّفْسَ وَٱلْعِرْضَا
وَلَمْ أُجَاوِبْهُ ٱحْتِقَارًا لَهُ ... وَمَنْ يَعَضُّ ٱلْكَلْبَ إِنْ عَضَّا

١ ا: أَحسِبُ. ٢ ا: فطارَ.

وقال يزيد المُهَلَّبيّ [السريع] ١١،٢٤

نُبِّئْتُ كَلْبًا هَابَ رَمْيِي لَهُ   يَنْبَحُنِي مِنْ مَوْضِعٍ نَائِي
لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ هَجَوْنَاكَ أَوْ   لَوْ بِنْتَ[1] لِلسَّامِعِ وَٱلرَّائِي
فَعَدِّ عَنْ شَتْمِي فَإِنِّي ٱمْرُؤٌ   حَلَّمَنِي قِلَّةُ أَكْفَائِي

وقال آخر [الخفيف] ١٢،٢٤

لَسْتُ أَهْجُوكَ لَسْتَ عِنْدِي بِنِدٍّ   فَبِكَفَّيْكَ فَٱهْجُنِي وَبِرِجْلِكْ
كَيْفَ أَهْجُوكَ وَٱلْهِجَاءُ يُبَكِّي   حَذَرًا أَنْ يَنَالَهُ نَتْنُ أَصْلِكْ

وقال محمّد بن عَبّاد الكاتب في أبي سعد المخزوميّ [الكامل] ١٣،٢٤

أَيْقَنْتَ أَنَّكَ مَا سَبَبْـ   ـتَ حَمَاكَ لُؤْمُكَ أَنْ تُسَبَّا
وَٱلْكَلْبُ إِنْ يَنْبَحْ فَلَيْـ   ـسَ جَوَابُهُ إِلَّا ٱخْسَ كَلْبَا
خَفِّضْ عَلَيْكَ وَقِفْ مَكَا   نَكَ لَا تُطفْ شَرْقًا وَغَرْبَا
وَٱكْشِفْ قِنَاعَ أَبِيكَ فَٱلْآ   بَاءُ لَيْسَ تُنَالُ غَصْبَا

وما ضرّ أبا تمّام قول هؤلاء كما أنّه لا يضرّ البحر أن يقذف فيه حجر ولا ينقص البدر ١٤،٢٤
أن ينبحه الكلب وقد قال الشاعر [الرمل]

مَا يَضُرُّ ٱلْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا   أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرْ

وأنشدنا أبو ذَكْوان قال أنشدني التَّوَّجيّ للمُخَبَّل [الوافر] ١٥،٢٤

١ ا: بَنَتْ.

إِذَا ذَكَرُوا ٱلْحُطَيْئَةَ لَمْ يَعُدُّوا   حَدِيثًا عِنْدَ ذَاكَ وَلَا قَدِيمَا
وَمَا كَانَ ٱلْحُطَيْئَةُ غَيْرَ كَلْبٍ   رَمَاهُ ٱللّٰهُ أَنْ نَبَحَ ٱلنُّجُومَا

ولي من قصيدة [الخفيف] ١٦،٢٤

مَا عَسَى حَاسِدٌ يَقُولُ إِذَا مَا   خَطَبَ ٱلنَّاسَ بِٱلْحَوَادِثِ خَطْبُ
فَكَفَاهُ أَغَرُّ مِنْهُمْ وَسِيمٌ   صَدْرُهُ فِي ٱلْعَطَاءِ وَٱلْبَأْسِ رَحْبُ
غَيْرَ هَمٍّ يَبُثُّهُ مِنْ بَعِيدٍ   مِثْلَ مَا يَنْبَحُ ٱلْكَوَاكِبَ كَلْبُ

وقال [الكامل] ١٧،٢٤

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بِٱلْهِجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ   إِنَّ ٱلْكِلَابَ طَوِيلَةُ ٱلْأَعْمَارِ

وقال ابن الروميّ يهجو ابن أبي طاهر من أبيات [المتقارب] ١٨،٢٤

رَأَيْتُكَ تَنْبَحُنِي سَادِرًا   كَفِعْلِكَ بِٱلْقَمَرِ ٱلْبَاهِرِ
وَإِنَّ قِسِيِّيَ لَمَبْرِيَّةٌ   بِكُلِّ أَمِينِ ٱلْقُوَى حَادِرِ
وَلٰكِنْ وَقَاكَ مَعَرَّاتِهَا   تَضَاؤُلُ قَدْرِكَ فِي ٱلْخَاطِرِ
فَلَا تَخْشَ مِنْ أَسْهُمِي صَائِبًا   وَلَا تَأْمَنَنَّ مِنَ ٱلْعَاثِرِ

وقال غيره [الكامل] ١٩،٢٤

اَلْهَجْوُ لَمَّا أَنْ هَجَوْتُكَ قَالَ لِي   أَهَجَوْتَهُ بِي أَمْ بِهِ تَهْجُونِي
وَٱلشَّتْمُ أَيْضًا قَالَ لِي مُتَعَجِّبًا   يَا مَنْ يُشَاتِمُنِي بِمَنْ هُوَ دُونِي

وقال آخر [الكامل] ٢٠،٢٤

ذَهَبَ ٱلَّذِينَ أُحِبُّهُمْ   وَبَقِيتُ فِيمَنْ لَا أُحِبُّهْ
إِذْ لَا يَزَالُ كَرِيمُ قَوْ   مٍ فِيهِمُ كَلْبٌ يَسُبُّهْ

وقال بشّار يهجو أبا هشام الباهليّ من أبيات [الطويل] ٢١،٢٤

أَيَشْتِمُ عِرْضِي ٱلْبَاهِلِيُّ بِعِرْضِهِ   لَعَمْرُكَ إِنِّي بَعْدَهَا لَمُشَتَّمُ
أَلَيْسَ مِنَ ٱشْرَاطِ ٱلْقِيَامَةِ أَنْ يُرَى   كَرِيمٌ يُلَاحِيهِ لَئِيمٌ مُذَمَّمُ

وقال منصور بن باذان الإصبهانيّ [السريع] ٢٢،٢٤

أَرَدْتُ أَنْ أَهْجُوَكَ حَتَّى إِذَا   عَلِمْتُ مَنْ أَنْتَ تَقَزَّزْتُ
وَكَيْفَ أَهْجُوكَ وَمَا مَرَّةً   ذُكِرْتَ لِي إِلَّا تَبَزَّقْتُ
فَذَاكَ أَنْجَاكَ وَلَوْ أَنَّنِي   أَرَدْتُ أَنْ أَهْجُوَكَ أَحْسَنْتُ
فَكَمْ فَتًى تَصْغُرُ عَنْ قَدْرِهِ   كَوَيْتُ جَنْبَيْهِ فَأَنْضَجْتُ

وقال آخر [الطويل] ٢٣،٢٤

لَقَدْ جَلَّ قَدْرُ ٱلْكَلْبِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا   عَوَى وَأَطَالَ ٱلنَّبْحَ أَلْقَمْتُهُ حَجَرْ

وقال الفرزدق لجرير [الكامل] ٢٤،٢٤

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهَجَوْتَهَا   أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ ٱلْبَحْرَانِ

وقال حسّان [الخفيف] ٢٥،٢٤

لَا تَسُبَّنَّنِي فَلَسْتَ بِسِبِّي   إِنَّ سِبِّي مِنَ ٱلرِّجَالِ ٱلْكَرِيمُ
مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِٱلْحَزْنِ تَيْسٌ   أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وقال آخر [الطويل] ٢٦،٢٤

لَعَمْرِي لَقَدْ سَابَبْتَنِي فَغَلَبْتَنِي   هَنِيئًا مَرِيئًا أَنْتَ بِٱلسَّبِّ أَحْذَقُ

وقال مُخَلَّد [المنسرح] ٢٧،٢٤

قَدْ كَثُرَ ٱلْعَيْبُ فِيكَ حَتَّى   أَعَاذَكَ ٱلْعَيْبُ مِنْ هِجَائِي
لَا تَحْمَدَنِّي وَكُنْ حَمِيدًا   مَا فِيكَ مِنْ كَثْرَةِ ٱلْبَلَاءِ

وقال خِيار الكاتب [الطويل] ٢٨،٢٤

وَمَا كُلُّ كَلْبٍ نَابِحٍ يَسْتَفِزُّنِي   وَلَا كُلَّمَا طَارَ ٱلذُّبَابُ أُرَاعُ
وَقَدْ عَلِمَتْ أُسْدُ ٱلْعَرِينِ بِأَنَّنِي   أُوَاثِبُهَا وَحْدِي وَهُنَّ جِمَاعُ
فَمَا لِضِبَاعٍ نَذْلَةٍ قَدْ تَعَرَّضَتْ   مَتَى وَثَبَتْ بِٱلْمُخْدِرَاتِ ضِبَاعُ

وقال [الكامل]

أَوَكُلَّمَا طَنَّ ٱلذُّبَابُ طَرَدْتُهُ   إِنَّ ٱلذُّبَابَ إِذًا عَلَيَّ كَرِيمُ

وقال أعرابيّ في المعنى الأوّل [الكامل] ٢٩،٢٤

اَلْعَبْدُ يَجْتَنِبُ ٱلْهِجَاءَ لِسَيِّدٍ   وَلَكَ ٱلْهِجَاءُ إِذَا هُجِيتَ جَمَالُ
لَمْ يَبْقَ عَارٌ فِي ٱلْبَرِيَّةِ كُلِّهَا   إِلَّا وَأَخْبَثُ مِنْهُ فِيكَ يُقَالُ

وقال دِعْبِل [الوافر] ٣٠،٢٤

وَأَكْرَهْتُ ٱلْهِجَاءَ عَلَى لَئِيمٍ   فَلَمَّا ذَاقَهُ لِلُّؤْمِ عَافَهْ

وقال البحتريّ [البسيط] ١،٢٥

عَلَيَّ نَحْتُ ٱلْقَوَافِي مِنْ أَمَاكِنِهَا   وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ[١] ٱلْبَقَرُ
إِذَا مَحَاسِنِيَ ٱللاَّئِي أُدِلُّ بِهَا   كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ

أخذ البيت الأوّل من قول أبي تمّام [البسيط]

لَا يَدْهَمَنَّكَ مِنْ دَهْمَائِهِمْ عَدَدٌ   فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ جُلَّهُمْ بَقَرُ

وأخذ البيت الثاني من قول أبي تمّام أيضاً [الطويل]

فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِي   أَسَاءَ فَفِي سُوءِ ٱلْقَضَاءِ لِيَ ٱلْعُذْرُ

وأخذه أبو تمّام أو أخذاه جميعاً من قول أبي حَنَش الفزاريّ حين فرّ عن حُذَيفة بن بدر يوم الهباءة [الوافر] ٢،٢٥

وَكَمْ مِنْ مَوْقِفٍ حَسَنٍ أُحِيلَتْ   مَحَاسِنُهُ فَعُدَّ مِنَ ٱلذُّنُوبِ

وهذه أبيات حِسان منها

ذَكَرْنَ[٢] بِمَوْقِفِي حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ   وَصَاحِبَهُ ٱلْأَلَدَّ لَدَى ٱلْخُطُوبِ
فَقُلْتُ لَهُنَّ لَا عُذْرٌ لَدَيْنَا   يَكُونُ مِنَ ٱلْمُحِبِّ إِلَى ٱلْحَبِيبِ
فَلَوْ صَدَقَ ٱلْهَوَى أَوْ كُنْتُ حُرًّا   لَمِتُّ مَعَ ٱلنَّدَى يَوْمَ ٱلْقَلِيبِ
وَذَنْبِي حَاضِرٌ لَا سِتْرَ عَنْهُ   لِطَالِبِهِ وَعُذْرِي بِٱلْمَغِيبِ
وَقَدْ جَاهَدْتُ حَتَّى لَا جِهَادٌ   وَمَاتَتْ حِيلَةُ ٱلرَّجُلِ ٱلْأَرِيبِ
وَلَا عُذْرٌ يُعَدُّ عَلَيَّ نَفْعًا   وَكُرُّ ٱلْعُذْرِ مِنْ فِعْلِ ٱلْمُرِيبِ

---

١ ا: يفهم. ٢ ا: ذكرتُ.

وَكَمْ مِنْ مَوْقِفٍ حَسَنٍ أُحِيلَتْ   مَحَاسِنُهُ فَعُدَّ مِنَ ٱلذُّنُوبِ

٣،٢٥ وأنشد أبو مُحَلِّم [الطويل]

عَلَى ٱلسَّاغِبِ ٱلظَّمْآنِ أَنْ يَطْلُبَ ٱلْقِرَى   وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ تَصُوبَ ٱلرَّوَاعِدُ

٤،٢٥ وقال أبو تمّام يشير إلى هذا [الطويل]

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ ٱلأَسِنَّةِ عَرَّسُوا   عَلَى مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ دَاجٍ غَيَاهِبُهْ
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ   وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

٥،٢٥ وكأنّ هذين البيتين نُقلا من قول ابن أبي . . . أنشدناه[١] أحمد بن يحيى [الوافر]

غُلَامُ وَغًى تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَى   فَخَانَ بَلَاءَهُ دَهْرٌ خَؤُونُ
وَكَانَ عَلَى ٱلْفَتَى ٱلْإِقْدَامُ فِيهَا   وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَتِ ٱلْمَنُونُ

٦،٢٥ ولي من أبيات في المشورة [الطويل]

وَشَاوَرْتُ فِي أَمْرِي ٱلَّذِينَ أَوَدُّهُمْ   وَلَا يَجِدُ ٱلنُّجْحَ ٱلَّذِي لَا يُشَاوِرُ
لِأَبْلُغَ عُذْرًا فِي ٱلَّذِي قَدْ أَتَيْتُهُ[٢]   وَلَا ذَنْبَ لِي فِيمَا تَجُرُّ ٱلْمَقَادِرُ

١،٢٦ وليس أحد من الشعراء أعزّك الله يعمل المعاني ويخترعها ويتّكئ[٣] على نفسه فيها أكثر من أبي تمّام ومتى أخذ معنى زاد عليه ووشّحه ببديعه وتمّم معناه فكان أحقّ به.

وكذلك الحكم في الأخذ عند العلماء بالشعر كقول أوس بن حَجَر [الطويل]

أَقُولُ بِمَا صَبَّتْ عَلَيَّ غَمَامَتِي   وَجُهْدِيَ فِي حَبْلِ ٱلْعَشِيرَةِ أَحْطِبُ

١ ا: ابن أبي أنشدنا. ٢ ا: أتيْته. ٣ ا: يتّلي.

فقال أبو تمّام [الطويل]

فَلَوْ كَانَ يَفْنَى ٱلشِّعْرُ أَفْنَتْهُ مَا قَرَتْ　　حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي ٱلْعُصُورِ ٱلذَّوَاهِبِ
وَلٰكِنَّهُ صَوْبُ ٱلْعُقُولِ إِذَا ٱنْثَنَتْ　　سَحَائِبُ مِنْهَا أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ

وكقول النابغة الجَعْديّ في صفة الحرب في قصيدة [الطويل] ٢،٢٦

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا تَرْزَأُ ٱلْحَرْبُ أَهْلَهَا　　وَعِنْدَ ذَوِي ٱلْأَحْلَامِ مِنْهَا ٱلتَّجَارِبُ
لَهَا ٱلسَّادَةُ ٱلْأَشْرَافُ تَأْتِي عَلَيْهِمُ　　فَتُهْلِكُهُمْ وَٱلسَّابِحَاتُ ٱلنَّجَائِبُ
وَتَسْتَلِبُ ٱلدُّهْمَ ٱلَّتِي كَانَ رَبُّهَا　　ضَنِينًا بِهَا وَٱلْحَرْبُ فِيهَا ٱلْحَرَائِبُ

فقال أبو تمّام [البسيط]

وَٱلْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ ٱلْمَعْنَى مِنَ ٱلْحَرَبِ

وقال ابراهيم بن المهديّ [البسيط] ٣،٢٦

هُمْ هَيَّجُوا ٱلْحَرْبَ وَٱسْمُ ٱلْحَرْبِ قَدْ عَلِمُوا　　لَوْ يَنْفَعُ ٱلْعِلْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلْحَرَبِ

وقليلاً ما يفعل هذا إلّا مع مُسلم بن الوليد.

وليس يجب أعزّك الله أن تنظر إلى اختلاف الناس في أبي تمّام واضطراب رواياتهم ٢٧
لشعره فإنّهم بعد إتمام هذه النسخة يجتمعون عليها ويسقطون غيرها كما كانوا مختلفين في شعر أبي نواس وأخباره ثمّ قد اجتمعوا عليه بعد فراغي منه حتّى إنّ النسخة من شعره من غير ما عملته لتُباع بدارهم قدكانت قبل ذاك تباع بعددها دنانير ولعلّها بعد قليل تُفقد فلا ترى وتسقط فلا تراد.

وقد رأيتُ أعزّك الله بعض هؤلاء الجهلة يصحّف أيضاً على أبي تمّام ثمّ يعيب ما لم يقله أبو تمّام قطّ وأنا ذاكر ذلك في موضعه من الشعر إذ كنت قد خفت إعراضك[1] وكرهت إملالك. على أنّي قد أطلت هذه الرسالة أعزّك الله استلذاذاً لخطابك وشغفاً بمرادك ولتعلم أنّي بلغت ما في نفسك وقضيت بعض حقّك. وأنا أتبع هذه الرسالة بأخباره إذ كانت عزيزة لا تكاد تجتمع لأحد وهي تنقضي سريعاً ثمّ أتبعها بعمل شعره إن شاء الله. ٢٨

١ ا: حفت غرضك.

أخبار أبي تمّام

بسم الله الرحمن الرحيم

ما جاء في تفضيل أبي تمّام

٢٩ وهو حبيب بن أوس الطائيّ صليبة ومولده بقرية يقال لها جاسِم سيمرّ ذكرها في أخباره إن شاء الله.

٣٠ حدّثني محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر النحويّ قال

قدم عُمارة بن عَقيل بغداد فاجتمع الناس إليه وكتبوا شعره وسمعوا منه وعرضوا عليه الأشعار فقال له بعضهم هاهنا شاعر يزعم قوم أنّه أشعر الناس طرًّا ويزعم غيرهم ضدّ ذلك فقال أنشدوني له فأنشدوه [الطويل]

غَدَتْ تَسْتَجِيرُ ٱلدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدِ   وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدِ
وَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ ٱلْمَوْتِ أَنَّهُ   صُدُودُ فِرَاقٍ لَا صُدُودُ تَعَمُّدِ
فَأَجْرَى لَهَا ٱلْإِشْفَاقُ دَمْعًا مُوَرَّدًا   مِنَ ٱلدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ خَدٍّ مُوَرَّدِ
هِيَ ٱلْبَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا   إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدَّدِ

ثمّ قطع المنشد فقال عُمارة زدنا من هذا فوصل وقال

وَلٰكِنَّنِي لَمْ أَحْوِ وَفْرًا مُجَمَّعًا   فَفُزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّدِ
وَلَمْ تُعْطِنِي ٱلْأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا   أَلَذُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشَرَّدِ

فقال عمارة لله درّه لقد تقدّم صاحبكم في هذا المعنى جميع من سبقه على كثرة القول فيه حتّى لحبّب الاغتراب هيه. فأنشده

وَطُولُ مُقَامِ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلْحَيِّ مُخْلِقٌ   لِدِيبَاجَتَيْهِ فَٱغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً   إِلَى ٱلنَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

فقال عُمارة كمل والله إن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطّراد المراد واستواء الكلام فصاحبكم هذا أشعر الناس وإن كان بغيره فلا أدري.

حدّثني محمّد بن موسى قال ٣١

سمعت عليّ بن الجَهْم ذكر دعبلاً فكفّره ولعنه وطعن على أشياء من شعره وقال كان يكذب على أبي تمّام ويضع عليه الأخبار ووالله ما كان إليه ولا مقاربًا له وأخذ في وصف أبي تمّام فقال له رجل والله لو كان أبو تمّام أخاك ما زاد على مدحك له فقال إلّا يكن أخًا بالنسب فإنّه أخ بالأدب والدين والمودّة أما سمعت ما خاطبني به [الكامل]

إِنْ يُكْدِ مُطَّرَفُ ٱلْإِخَاءِ فَإِنَّنَا   نَغْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءٍ تَالِدِ
أَوْ يَخْتَلِفْ مَاءُ ٱلْوِصَالِ فَمَاؤُنَا   عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدِ
أَوْ يَفْتَرِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفْ بَيْنَنَا   أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مَقَامَ ٱلْوَالِدِ

سمعت أبا إسحاق الحَرْبيّ رحمه الله يذكر عليّ بن الجهم وخبرًا له مع أبي تمّام أظنّه هذا أو ما[١] يصحّحه ولست أحفظه جيّدًا ولم أجده لأنّي كتبته فيما أظنّ في كتب الحديث. وسمعته يقول كان عليّ بن الجهم من كملة الرجال. وكان يقال علمه بالشعر أكثر من شعره. ٣٢

١ ا: وما.

فانظر إلى تفضيل هذا الرجل لأبي تمّام مع تقدّمه في الشعر والعلم به وتفضيل عمارة بن عقيل له والعلماء يقولون جاء عمارة بن عقيل على ساقة الشعراء.

٣٣ ويصحّ علم عليّ بالشعر ما جاء به عبد الله بن الحسين قال لي البحتريّ

دعاني عليّ بن الجهم فمضيت إليه فأفضنا في أشعار المحدثين إلى أن ذكرنا أَشجعَ السُّلَميّ فقال لي إنّه يخلي وأعادها مرّات ولم أفهمها وأنفت أن أسأله عن معناها فلمّا انصرفت فكّرت في الكلمة ونظرت في شعر أشجع السلميّ فإذا هو ربّما مرّت له الأبيات مغسولةً ليس فيها بيت رائع فإذا هو يريد هذا بعينه أنّه يعمل الأبيات فلا يصيب فيها ببيت نادر كما أنّ الرامي إذا رمى برشْقه فلم يصب فيه بشيء قيل أخلى.

قال وكان عليّ بن الجهم عالمًا بالشعر.

١،٣٤ حدّثني أبو بكر هارون بن عبد الله المهلّبيّ قال

كنّا في حلقة دعبل فجرى ذكر أبي تمّام فقال دعبل كان يتتبّع معانيّ فيأخذها فقال له رجل في مجلسه ما من ذاك أعزّك الله؟ قال قلت [الطويل]

إِنَّ ٱمْـرَأً أَسْـدَى إِلَيَّ بِشَـافِـعٍ   إِلَيْهِ وَيَـرْجُو ٱلشُّكْرَ مِنِّي لَأَحْـمَقُ
شَـفِيعَكَ فَٱشْكُرْ فِي ٱلْحَوَائِجِ إِنَّـهُ   يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يُخْلَقُ

فقال له الرجل فكيف قال أبو تمّام؟ قال قال [الكامل]

فَـلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُـلْوَ عَـطَائِهِ   وَلَقِـيتَ[١] بَيْنَ يَـدَيَّ مُـرَّ سُؤَالِهِ
وَإِذَا ٱمْـرُؤٌ أَسْدَى إِلَيَّ صَـنِيعَةً   مِنْ جَـاهِـهِ فَكَأَنَّـهَا مِنْ مَـالِهِ

١ ا: فلقيتُ.

فقال الرجل أحسن والله فقال كذبت قبّحك الله فقال والله لئن كان أخذ هذا المعنى وتبعته فما أحسنت وإن كان أخذه منك لقد أجاده فصار أولى به منك فغضب دعبل وقام.

٢،٣٤ قال أبو بكر وشعرُ أبي تمّام أجود فهو مبتدئًا ومتّبعًا أحقّ بالمعنى ولدعبل خبر في شعره هذا مشهور أذكره بسبب ما قبله. حدّثني محمّد بن داود قال حدّثني يعقوب بن إسحاق الكِنديّ قال

كانت على القاسم بن محمّد الكِنديّ وظيفة لدعبل في كلّ سنة فأبطأت عليه فكلّمني فأذكرته بها فما برح حتّى أخذها فقال دعبل إِنَّ ٱمْرَأً أَسْدَى إِلَيَّ بِشَافِعٍ وذكر البيتين.

وقد تبع البحتريّ أبا تمّام فقال في هذا المعنى [الطويل]

وَعَطَاءُ غَيْرِكَ إِنْ بَذَلْ ... تَ عِنَايَةً فِيهِ عَطَاؤُكَ

٣٥ حدّثني أبو جعفر المهلّبيّ قال حدّثني ابن مِهْرَوَيْه قال حدّثني عبد الله بن محمّد بن جرير قال

سمعت محمّد بن حازم الباهليّ الشاعر يصف أبا تمّام ويقدّمه في الشعر والعلم والفصاحة ويقول ما سمعت لمتقدّم ولا محدث بمثل ابتدائه في مرثيته

أَصَمَّ بِكَ ٱلنَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا

ولا مثل قوله في الغزل [الكامل]

مَا إِنْ رَأَى ٱلْأَقْوَامُ شَمْسًا قَبْلَهَا ... أَفَلَتْ فَلَمْ تُعْقِبْهُمُ بِظَلَامِ
لَوْ يَقْدِرُونَ مَشَوْا عَلَى وَجَنَاتِهِمْ ... وَعُيُونِهِمْ فَضْلًا عَنِ ٱلْأَقْدَامِ

حدّثني سَوّار بن أبي شُراعَة قال حدّثني البحتريّ قال ١،٣٦

كان أوّل أمري في الشعر ونباهتي فيه أنّي صرت إلى أبي تمّام وهو بِحِمْص فعرضت عليه شعري وكان يجلس فلا يبقى شاعر إلّا قصده وعرض عليه شعره فلمّا سمع شعري أقبل عليّ وترك سائر الناس فلمّا تفرّقوا قال أنت أشعر من أنشدني فكيف حالك؟ فشكوت خلّةً فكتب لي إلى أهل معرّة النعمان وشهد لي بالحذق وقال امتدحْهم فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظّفوا لي أربعة آلاف درهم فكانت أوّل ما أصبته.

حدّثني أبوعبد الله العبّاس بن عبد الرحيم الأَلوسيّ قال حدّثني جماعة من أهل مَعَرّة النعمان قال[١] ٢،٣٦

ورد علينا كتاب أبي تمّام للبحتريّ يصل كتابي على يدي الوليد بن عُبادة وهو على بذاذته شاعر فأكرموه.

وسمعت أبا محمّد عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحتريّ وقد اجتمعا في داره بالخُلْدِ ٣٧
وعنده محمّد بن يزيد النحويّ وذكروا معنى تعاوره البحتريّ وأبو تمّام أنت في هذا أشعر من أبي تمّام فقال كلّا والله ذاك الرئيس الأستاذ والله ما أكلت الخبز إلّا به.

فقال له محمّد بن يزيد يا أبا الحسن تأبى إلّا شرفًا من جميع جوانبك.

حدّثني أبو عبد الله الحسين بن عليّ قال ٣٨

قلت للبحتريّ أيّما أشعر أنت أو أبو تمّام؟ فقال جيّده خير من جيّدي ورديئي خير من رديئه.

١ كذا في ا.

قال أبو بكر وقد صدق البحتريّ في هذا. جيّد أبي تمّام لا يتعلّق به أحد في زمانه وربّما اختلّ لفظه قليلاً لا معناه والبحتريّ لا يختلّ.

حدّثني أبو الحسن الكاتب قال ٣٩

كان إبراهيم بن الفرج البَنَدِنيجيّ الشاعر يجيئنا كثيرًا وكان أعلم الناس بالشعر ويجيئنا البحتريّ وعليّ بن العبّاس الروميّ وكانوا إذا ذكروا أبا تمّام عظّموه ورفعوا مقداره في الشعر حتّى يقدّموه على أكثر الشعراء وكلّ يُقرّ بأستاذيّته وأنّه منه تعلّم.

وقال هؤلاء أعلم أهل زمانهم بالشعر وأشعر من بقي.

حدّثني أبو الحسن عليّ بن محمّد الأنباريّ قال سمعت البحتريّ يقول ١،٤٠

أنشدني أبو تمّام لنفسه [البسيط]

وَسَابِحٍ هَطِلِ ٱلتَّعْدَاءِ هَتَّانِ   عَلَى ٱلْجِرَاءِ أَمِينٍ غَيْرِ خَوَّانِ
أَظْمَى ٱلْفُصُوصِ وَلَمْ تَظْمَأْ قَوَائِمُهُ   فَخَلِّ عَيْنَيْكَ فِي ظَمْآنَ رَيَّانِ
فَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحًا وَٱلْحَصَى زِيَمٌ   بَيْنَ ٱلسَّنَابِكِ مِنْ مَثْنًى وَوُحْدَانِ
أَيْقَنْتَ إِنْ لَمْ تَثَبَّتْ أَنَّ حَافِرَهُ   مِنْ صَخْرِ تَدْمُرَ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانِ

ثمّ قال لي ما هذا من الشعر؟

قلت لا أدري

قال هذا المستطرد أو قال الاستطراد.

قلت وما معنى ذلك؟

قال يُري أنّه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان.

فاحتذى هذا البحتريّ فقال في قصيدته التي مدح فيها محمّد بن عليّ القُمّيّ ويصف الفرس أوّلها [الكامل] ٢،٤٠

أَهْلًا بِذٰلِكُمُ ٱلْخَيَالِ ٱلْمُقْبِلِ   فَعَلَ ٱلَّذِي نَهْوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ

ثمّ وصف الفرس فقال

وَأَغَرَّ فِي ٱلزَّمَنِ ٱلْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ   قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغَرَّ مُحَجَّلِ
كَٱلْهَيْكَلِ ٱلْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ   فِي ٱلْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ
يَهْوِي كَمَا تَهْوِي ٱلْعُقَابُ إِذَا رَأَتْ   صَيْدًا وَيَنْتَصِبُ ٱنْتِصَابَ ٱلْأَجْدَلِ
مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا   يُرَيَانِ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلِ
وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَهَا   صَهْبَاءُ لِلْبَرَدَانِ أَوْ قُطْرَبُّلِ[1]
مَلَكَ ٱلْعُيُونَ فَإِنْ بَدَا أَعْطَيْنَهُ   نَظَرَ ٱلْمُحِبِّ إِلَى ٱلْحَبِيبِ ٱلْمُقْبِلِ
مَا إِنْ يُعَافُ قَذًى وَلَوْ أَوْرَدْتَهُ   يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوَيْهِ ٱلْأَحْوَلِ

وكان هذا عدوًّا للذي مدحه. فحدّثني عبد الله بن الحسين وقد اجتمعنا بقِرْقِيسياءَ قال ٣،٤٠
قلت للبحتريّ إنّك احتذيت في شعرك يعني الذي ذكرناه أبا تمّام وعملت كما عمل من المعنى وقد عاب هذا عليك قوم.

فقال لي أيعاب عليّ أن أتبع أبا تمّام وما عملت بيتًا قطّ حتّى أُخطِر شعره ببالي؟ ولكنّي أُسقِط بيت الهجاء من شعري.

قال فكان بعد ذلك لا ينشده وهو ثابت في أكثر النسخ.

حدّثني محمّد بن سعيد أبو بكر الأصمّ قال حدّثني أحمد بن أبي فَنَن قال ١،٤١
حضرت أبا تمّام وقد وُصل بمائتي دينار فدفع إلى رجل عنده منها مائة وقال خذها. ثمّ قيل لي إنّه صديق له واستبنت منه خلّة فعذلته على إعطائه ما أُعطي وقلت لو كان شقيقك ما عذرتك مع اضطراب حالك فقال [البسيط]

---

١ ا: قُطرُبّل.

ذُو ٱلْوُدِّ مِنِّي وَذُو ٱلْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ وَإِخْوَتِي أُسْوَةٌ عِنْدِي وَإِخْوَانِي
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدابُهُمْ أَدَبِي فَهُمْ وَإِنْ فُرِّقُوا فِي ٱلْأَرْضِ جِيرَانِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ أَجْسَامُنَا لِشَآمٍ أَوْ خُرَاسَانِ

قال ابن أبي فَنَن وكان أبو تمّام أحضر الناس خاطرًا.

وقد أجاد هذا المعنى إبراهيم بن العبّاس الصوليّ فقال [الوافر] ٢،٤١

أَمِيلُ مَعَ ٱلذِّمَامِ عَلَى ابْنِ عَمِّي وَأَقْضِي لِلصَّدِيقِ عَلَى ٱلشَّقِيقِ
أُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَٱلْحُقُوقِ
وَإِمَّا تَلْقَنِي حُرًّا مُطَاعًا فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ ٱلصَّدِيقِ

حدّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال حدّثني ابن الأعرابيّ المنجّم قال ١،٤٢

كان أبو تمّام إذا كلّمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه كأنّه كان علم ما يقول فأعدّ جوابه فقال له رجل يا أبا تمّام لم لا تقول من الشعر ما يُعرف؟ قال وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال؟ فأفحمه.

وحدّثني أبو الحسين الجُرجانيّ قال ٢،٤٢

الذي قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان وكان هذا من علماء الناس وكان متّصلاً بالطاهريّة.

ولا أعرف أحدًا بعد أبي تمّام أشعر من البحتريّ ولا أغضّ كلامًا ولا أحسن ديباجةً ولا أتمّ طبعًا وهو مستوي الشعر حلو الألفاظ مقبول الكلام يقع على تقديمه الإجماع وهو مع ذلك يلوذ بأبي تمّام في معانيه. فأيّ دليل على فضل أبي تمّام ورياسته يكون أقوى من هذا؟ ١،٤٣

قال أبو تمّام [الكامل]

يَسْتَنْزِلُ ٱلْأَمَلَ ٱلْبَعِيدَ بِبِشْرِهِ   بُشْرَى ٱلْمُخِيلَةِ بِٱلرَّبِيعِ ٱلْمُغْدِقِ
وَكَذَا ٱلسَّحَائِبُ قَلَّمَا تَدْعُو إِلَى   مَعْرُوفِهَا ٱلرُّوَّادَ مَا لَمْ تَبْرُقِ

فحسَّن هذا المعنى وكمَّله.

٢،٤٣ ثمّ أوضحه في مكان آخر واختصره فقال [الخفيف]

إِنَّمَا ٱلْبِشْرُ رَوْضَةٌ فَإِذَا أَعْـ   ـقَبَ بَذْلًا فَرَوْضَةٌ وَغَدِيرُ

٣،٤٣ فما زال البحتريّ يردّد هذا المعنى في شعره ويتّبع أبا تمّام فيه ويقع في أكثره دونه. قال في قصيدة يمدح بها رافعاً [البسيط]

كَانَتْ بَشَاشَتُكَ ٱلْأُولَى ٱلَّتِي ٱبْتَدَأَتْ   بِٱلْبِشْرِ ثُمَّ ٱقْتَبَلْنَا بَعْدَهَا ٱلنِّعَمَا
كَٱلْمُزْنَةِ ٱسْتَوْبَقَتْ أُولَى مَخِيلَتِهَا   ثُمَّ ٱسْتَهَلَّتْ بِغُزْرٍ تَابَعَ ٱلدِّيَمَا

فاحتذى معانيه واقتصّها فجذبته المعاني واضطرّته إلى أن حكى لفظه في هذا فصار يشبه لفظَ أبي تمّام ولفظُ البحتريّ في أكثر هذه أسهل.

٤،٤٣ ثمّ ردّد هذا المعنى البحتريّ فقال واستعاره للسيف [الخفيف]

مُشْرِقٌ لِلنَّدَى وَمِنْ حَسَبِ ٱلسَّيْـ   ـفِ لِمُسْتَلِّهِ ضِيَاءُ حَدِيدِهْ
ضَحِكَاتٌ فِي إِثْرِهِنَّ ٱلْعَطَايَا   وَبُرُوقُ ٱلسَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ

٥،٤٣ ثمّ ردّد المعنى وأسقط البشر منه وصيّر مكانه الرعد فقال في أبي الصقر [الكامل]

يُولِيكَ صَدْرَ ٱلْيَوْمِ قَاصِيَةَ ٱلْغِنَى   بِفَوَائِدٍ قَدْ كُنَّ أَمْسِ مَوَاعِدَا
سَوْمَ ٱلسَّحَائِبِ مَا بَدَأْنَ بَوَارِقًا   فِي عَارِضٍ إِلَّا ثَنَيْنَ رَوَاعِدَا

ثمّ ردّد المعنى الأوّل بحاله فقال في المعتزّ بالله وأحسن [الكامل] ٦،٤٣

مُتَهَلِّلٌ طَلْقٌ إِذَا وَعَدَ ٱلْغِنَى   بِٱلْبِشْرِ أَتْبَعَ بِشْرَهُ بِٱلنَّائِلِ
كَٱلْمُزْنِ إِنْ سَقَطَتْ لَوَامِعُ بَرْقِهِ   أَجْلَتْ لَنَا عَنْ دِيمَةٍ أَوْ وَابِلِ

وهذا المعنى فإنّما ابتدأه أبو نواس فقال يمدح قوماً من قريش في أرجوزة وصف فيها الحمام [الرجز] ٧،٤٣

بِشْرُهُمُ قَبْلَ ٱلنَّوَالِ ٱللاَّحِقِ   كَٱلْبَرْقِ يَبْدُو قَبْلَ جُودٍ دَافِقِ
وَٱلْغَيْثُ يَخْفَى وَقْعُهُ لِلرَّامِقِ   مَا لَمْ تَجِدْهُ بِدَلِيلِ ٱلْبَارِقِ

ومن تبحّر شعر أبي تمّام وجد كلّ محسن بعده لائذاً به كما أنّ كلّ محسن بعد بشّار لائذ ١،٤٤
بشّار ومنتسب إليه في أكثر إحسانه قال أبو تمّام [الخفيف]

فَسَوَاءٌ إِجَابَتِي غَيْرَ دَاعٍ   وَدُعَائِي بِٱلْقَاعِ غَيْرَ مُجِيبِ

فقال البحتريّ نسخًا له [الكامل]

وَسَأَلْتَ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ فَكُنْتَ فِي ٱسْـ   ـتِخْبَارِهِ كَمُجِيبِ مَنْ لَا يَسْأَلُ

وقال أبو تمّام [البسيط] ٢،٤٤

إِذَا ٱلْقَصَائِدُ كَانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ   يَوْماً فَأَنْتَ لَعَمْرِي مِنْ مَدَائِحِهَا

فقال البحتريّ [البسيط]

وَمَنْ يَكُنْ فَاخِرًا بِٱلشِّعْرِ يُذْكَرُ فِي   أَصْنَافِهِ فَبِكَ ٱلْأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ

وقال أبو تمّام [الكامل] ٣،٤٤

وَإِذَا أَرادَ ٱللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ   طُوِيَتْ أَتاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

فقال البحتريّ [الطويل]

وَلَنْ تَسْتَبِينَ ٱلدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ   إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدِ

وقال أبو تمّام [الكامل] ٤،٤٤

بُخْلٌ تَدِينُ بِحُلْوِهِ وِبِمُرِّهِ   فَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ ٱلتَّوْحِيدِ

فقال البحتريّ [الكامل]

وَتَدَيَّنٌ[1] بِٱلْبُخْلِ حَتَّى خِلْتُهُ   فَرْضًا يُدانُ بِهِ ٱلإِلٰهُ وَيُعْبَدُ

وقال أبو تمّام [الكامل] ٥،٤٤

أَوْ يَخْتَلِفْ مَاءُ ٱلْوِصَالِ فَمَاؤُنَا   عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدِ

وإنّما أخذه أبو تمّام من قول الفرزدق [الكامل] ٦،٤٤

يَا بِشْرُ أَنْتَ فَتَى قُرَيْشٍ كُلِّهَا   رِيشِي وَرِيشُكَ مِنْ جَنَاحٍ وَاحِدِ

فقال البحتريّ [الكامل] ٧،٤٤

وَأَقَلُّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَنَّنَا   نَرْمِي ٱلْقَبَائِلَ عَنْ قَبِيلٍ وَاحِدِ

---

١ ا: تدينُ.

وقال أبو تمّام [الوافر] ٨،٤٤

ثَوَى بِٱلْمَشْرِقَيْنِ لَهُمْ ضِجَاجٌ   أَطَارَ قُلُوبَ أَهْلِ ٱلْمَغْرِبَيْنِ

وإنّما أخذه أبو تمّام من قول مُسلم [البسيط] ٩،٤٤

لَمَّا نَزَلْتَ عَلَى أَدْنَى بِلَادِهِمُ   أَلْقَى إِلَيْكَ ٱلْأَقَاصِي بِٱلْمَقَالِيدِ

فقال البحتريّ [الطويل] ١٠،٤٤

غَدَا غَدْوَةً بَيْنَ ٱلْمَشَارِقِ إِذْ غَدَا   فَبَثَّ حَرِيقاً فِي أَقَاصِي ٱلْمَغَارِبِ

وجاذبني يوماً بعض من يتعصّب على أبي تمّام بالتقليد لا بالفهم ويقدّم غيره بلا دراية ٤٥
فقال أيحسن أبو تمّام أن يقول كما قال البحتريّ [الطويل]

تَسَرَّعَ حَتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ ٱلْوَغَى   لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَائِبِ

فقلت له وهل افتضّ هذا المعنى قبل أبي تمّام أحد في قوله [البسيط]

حَنَّ إِلَى ٱلْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُ   بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقاً إِلَى وَطَنِ

ولولا أنّ بعض أهل الأدب ألّف في أخذ البحتريّ من أبي تمّام كتاباً لكنت قد سُقتُ ١،٤٦
كثيرًا مثل ما ذكرنا ولكنّني أكره إعادة ما أُلّف وأجتنب أن أجتذب من الأدب
ما مُلك قبلي إلّا أنّني سآتي بأبيات من جملة ذلك تدلّ على جميعه إن شاء الله.

قال أبو تمّام [الطويل]

شَهِدْتُ جَسِيمَاتِ ٱلْعُلَا وَهْوَ غَائِبٌ   وَلَوْ كَانَ أَيْضاً شَاهِداً كَانَ غَائِبَا

فقال البحتريّ [الطويل]

نَصَحْتُكُمُ لَوْ كَانَ لِلنُّصْحِ سَامِعٌ   لَدَى شَاهِدٍ عَنْ مَوْضِعِ ٱلْفَهْمِ غَائِبِ

على أنّ محمّد بن عبيد الله العُتْبيّ قد قال [الكامل] ٢،٤٦

قَوْمٌ حُضُورٌ غَائِبُو   ٱلْأَذْهَانِ لَيْسَ لَهَا قُفُولُ

وقال أبو تمّام [الطويل] ٣،٤٦

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّيَ[1] صَاغِرًا   عَدُوُّكَ فَٱعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ حَامِدِ

فقال البحتريّ [الكامل]

لَيُوَاصِلَنَّكَ ذِكْرُ شِعْرٍ سَائِرٍ   يَرْوِيهِ فِيكَ لِحُسْنِهِ ٱلْأَعْدَاءُ

وكأنّ هذا المعنى من قولهم من فضل فلان أنّ أعداءه مجمعون على فضله وقولهم خير المدح ما رواه العدوّ والصديق.

وقال أبو تمّام [الوافر] ٤،٤٦

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍي جَدْوَاهُ أَحْلَى   عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَغَمِ ٱلسَّمَاعِ

قال البحتريّ [الكامل]

نَشْوَانُ يَطْرَبُ لِلسُّؤَالِ كَأَنَّمَا   غَنَّاهُ مَالِكُ طَيِّءٍ أَوْ مَعْبَدُ

---

١ ا: عندي.

وأوّل من أتى بفرح المسؤول وطلاقة وجهه ثمّ أخذه الناس فولّدوه فقالوا السؤال أحلى عنده من الغناء وراجيه أحبّ إليه من معطيه زُهَيْرٌ قال [الطويل] ٥،٤٦

تَـرَاهُ إِذَا مَـا جِـئْـتَهُ مُـتَـهَلِّلًا   كَأَنَّكَ تُعْطِيـهِ ٱلَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ

وقال أبو تمّام [الكامل] ٦،٤٦

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ   فَإِذَا لَقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ

فأخذه البحتريّ فقال [الكامل]

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ   إِقْدَامُ غِرٍّ وَٱعْتِزَامُ مُجَرِّبِ

فأمّا الذي نقله البحتريّ نقلاً فأخذ اللفظ والمعنى فقول أبي تمّام يصف شعره [الوافر] ١،٤٧

مُنَزَّهَةٌ عَنِ ٱلسَّرَقِ ٱلْمُوَرَّى   مُكَرَّمَةٌ عَنِ ٱلْمَعْنَى ٱلْمُعَادِ

فقال البحتريّ يصف بلاغة [الكامل]

لَا يَعْمَلُ ٱلْمَعْنَى ٱلْمُكَرَّ   رَ فِيهِ وَٱللَّفْظَ ٱلْمُرَدَّدْ

وقال أبو تمّام [البسيط] ٢،٤٧

اَلْبِيدُ وَٱلْعِيسُ وَٱللَّيْلُ ٱلتِّمَامُ مَعًا   ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُقْرَنَّ فِي قَرَنِ[1]

قال البحتريّ [الخفيف]

---

١ ا: في قرْن.

اُطْلُبَا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ ٱلْعِيسِ وَٱلدُّجَى وَٱلْبِيدِ

وأخذه أبو تمّام من قول ذي الرمّة [الطويل] ٣،٤٧

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ ٱلْعَرُوسِ ٱدَّرَعْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ وَٱلشَّخْصُ فِي ٱلْعَيْنِ وَاحِدُ
أَحَمُّ عِلَافِيٌّ وَأَبْيَضُ صَارِمٌ وَأَعْيَسُ مَهْرِيٌّ وَأَرْوَعُ مَاجِدُ

وقال أبو تمّام [الوافر] ٤،٤٧

تَفِيضُ سَمَاحَةً وَٱلْمُزْنُ مُكْدٍ وَتَقْطَعُ وَٱلْحُسَامُ ٱلْعَضْبُ نَابِي

فقال البحتريّ [الخفيف]

يَتَوَقَّدْنَ وَٱلْكَوَاكِبُ مُطْفَا ةٌ وَيَقْطَعْنَ وَٱلسُّيُوفُ نَوَابِي

وقال الطائيّ [الكامل] ٥،٤٧

لا تَدْعُوَنْ نُوحَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً لِلْخَطْبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَلِيلَا

فقال البحتريّ [الخفيف]

يَا أَبَا جَعْفَرٍ وَمَا أَنْتَ بِالْمَدْ عُوِّ إِلَّا لِكُلِّ أَمْرٍ كُبَارِ[1]

وقال أبو تمّام [الكامل] ٦،٤٧

وَلَقَدْ أَرَدْتُمْ مَجْدَهُ وَجَهَدْتُمُ فَإِذَا أَبَانٌ قَدْ رَسَا وَيَلَمْلَمُ[2]

---

١ ا: لكلّ خطب جليل. ٢ ا: ومتالع.

فقال البحتريّ ونقله لفظاً ومعنى [الطويل]

وَلَنْ يَنْقُلَ ٱلْحُسَّادُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا   تَمَكَّنَ رَضْوَى وَٱطْمَأَنَّ مُتَالِعُ

وقال أبو تمّام [الكامل] ٧،٤٧

وَتُشَرِّفُ ٱلْعُلْيَا وَهَلْ مِنْ مَذْهَبٍ   عَنْهَا وَأَنْتَ عَلَى ٱلْمَعَالِي قَيِّمُ

فقال البحتريّ [الكامل]

مُتَقَلْقِلُ ٱلْأَحْشَاءِ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَا   حَتَّى يَكُونَ عَلَى ٱلْمَعَالِي قَيِّمَا

وقال أبو تمّام [الطويل] ٨،٤٧

وَيَلْبَسُ أَخْلَاقًا كِرَامًا كَأَنَّهَا   عَلَى ٱلْعِرْضِ مِنْ فَرْطِ ٱلْحَصَانَةِ أَدْرُعُ

فقال البحتريّ ولم يستوفِ وكذلك هو في أكثر ما ذكرت يقع دوناً [الكامل]

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا ٱلدُّرُوعَ لِمَوْقِفٍ   لَبِسَتْهُمُ ٱلْأَخْلَاقُ[١] فِيهِ دُرُوعَا

وقال أبو تمّام [الطويل] ٩،٤٧

وَقَدْ كَانَ فَوْتُ ٱلْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ   إِلَيْهِ ٱلْحِفَاظُ ٱلْمُرُّ وَٱلْخُلُقُ ٱلْوَعْرُ

فقال البحتريّ [الكامل]

وَلَوَ ٱنَّهُ ٱسْتَامَ ٱلْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ   وَجَدَ ٱلْحَيَاةَ رَخِيصَةَ ٱلْأَسْبَابِ

---

١ ا: الأحلاق.

وهذا أيضاً من قول الآخر [الطويل] ١٠،٤٧

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةً   وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى ٱلْمَوْتِ أَكْرَمَا

وقال أبو تمّام [الطويل] ١١،٤٧

وَمَا ٱلْعُرْفُ بِٱلتَّسْوِيفِ إِلَّا كَخُلَّةٍ   تَسَلَّيْتَ عَنْهَا حِينَ شَطَّ مَزَارُهَا

فقال البحتريّ [الطويل]

وَكُنْتُ وَقَدْ أَمَّلْتُ مُرًّا لِنَائِلٍ   كَطَالِبِ جَدْوَى خُلَّةٍ لَا تُوَاصِلُ

وممّا احتذى فيه البحتريّ أبا تمّام وقدّر مثل كلامه فعمل معناه عليه ما أخذه من قول أبي تمّام [الخفيف] ١،٤٨

هِمَّةٌ تَنْطَحُ ٱلنُّجُومَ وَجَدٌّ   آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ

فقال البحتريّ [الكامل]

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْمٍ قَائِمٍ   فِي كُلِّ نَازِلَةٍ وَجَدٍّ قَاعِدِ

وقال أبو تمّام [الكامل] ٢،٤٨

مُتَوَطِّئُو عَقِبَيْكَ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَا   وَٱلْمَجْدِ ثُمَّتَ تَسْتَوِي ٱلْأَقْدَامُ

فقال البحتريّ [الكامل]

حُزْتَ ٱلْعُلَا سَبْقًا وَصَلَّى ثَانِيًا   ثُمَّ ٱسْتَوَتْ مِنْ بَعْدِهِ ٱلْأَقْدَامُ

وقال أبو تمّام [الكامل] ٣،٤٨

تَنْدَى عُفَاتُكَ لِلْعُفَاةِ وَتَغْتَدِي   رُفَقًا إِلَى زُوَّارِكَ ٱلزُّوَّارُ

فقال البحتريّ على تقديره [الكامل]

ضَيْفٌ لَهُمْ يَقْرِي ٱلضُّيُوفَ وَنَازِلٌ   مُتَكَفِّلٌ فِيهِمْ بِبِرِّ ٱلنُّزَّلِ

وقال أبو تمّام [الكامل] ٤،٤٨

عَطَفُوا ٱلْخُدُورَ عَلَى ٱلْبُدُورِ وَوَكَّلُوا   ظُلَمَ ٱلسُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ نُهَّدِ

فقال البحتريّ [الطويل]

وَبِيضٍ أَضَاءَتْ فِي ٱلْخُدُورِ كَأَنَّهَا   بُدُورُ دُجًى جَلَّتْ سَوَادَ ٱلْحَنَادِسِ

حدّثني عبد الله بن المعتزّ قال حدّثني أبو سعيد النحويّ المعروف بصَعُوداء عن أبي تمّام الطائيّ قال ١،٤٩

خرجت يوماً إلى سُرّ مَن رأى حين ولى الواثق فلقيني أعرابيّ وقد قربتُ منها فأردت أن أسأله عن شيء من أخبار الناس بها فخاطبته فإذا أفصح الناس وأفطنهم فقلت ممّن الرجل؟

قال من بني عامر

قلت كيف علمك بأمير المؤمنين؟

قال قتل أرضاً عالمُها

قلت فما تقول فيه؟

قال وثق بالله فكفاه وأشجى العاصية وقمع العادية وعدل في الرعيّة وأرهب[1] كلّ ذي قلم خيانته.

قلت فما تقول في أحمد بن أبي دؤاد؟

قال هضبة لا تُرام وجندلة لا تُضام تُشحذ له المُدى وتُحبل له الأشراك وتُبغى له الغوائل حتّى إذا قيل كأنْ قد وثب وثبة الذئب وختل ختل الضبّ.

قلت فما تقول في محمّد بن عبد الملك؟

قال وسع الداني شرُّه وقتل البعيد ضرّه له كلّ يوم صريع لا يُرى فيه أثر ناب ولا ندب مخلب.

قلت فما تقول في عمر بن فَرَج؟

قال ضخم لِهَمٍّ مستعذِب للذمّ.

قلت فما تقول في الفضل بن مروان؟ واستعذبتُ خطابه.

قال ذاك رجل نُشر بعد ما قُبر فعليه حياة الأحياء وخفتة الموتى.

قلت فما تقول في أبي الوزير؟

قال كبش الزنادقة الذي تعرف ألا ترى أنّ الخليفة إذا أهمله سنح ورتع فإذا هزّه أمطر فأمرع؟

قلت فابن الخَصِيب؟

قال أكل أكلة نَهِم فذرق ذرقة بَشِم.

قلت فما تقول في إبراهيم أخيه؟

قال ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

قلت فما تقول في أحمد بن إسرائيل؟

قال لله درّه أيّ قُلْقُل هو. غُرس في منابت الكرَم حتّى إذا اهتزّ لهم حصدوه.

قلت فما تقول في إبراهيم بن رَباح؟

[1] ا: أرعف، ولعلّه تصحيف (أرهب) الذي أثبتُّ وفاقا للسياق.

قال أوبقه كرمُه وأسلمه حسَبه وله معروف لا يُسلِمه وربّ لا يخذُله وخليفة لا يظلمه.

قلت فما تقول في نَجاح بن سَلَمة؟

قال لله درّه أيّ طالب وتر ومدرك ثأر. يتلهّب كأنّه شعلة نار له من الخليفة جَلسة تُزيل نِعَماً وتُحِلّ نِقَماً.

قلت يا أعرابيّ أين منزلك؟

قال اللّهمّ غفراً. إذا اشتمل الظلام فحيثما أدركني الرقاد رقدت.

قلت فكيف رضاك عن أهل العسكر؟

قال لا أُخلِق وجهي بمسألتهم أوَما سمعتَ قول هذا الفتى الطائيّ الذي قد ملأ الدنيا شعره [البسيط]

وَمَا أُبَالِي وَخَيْرُ ٱلْقَوْلِ أَصْدَقُهُ   حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَوْحَقَنْتَ دَمِي

قلت فأنا الطائيّ قائل هذا الشعر.

فدنا مبادراً فعانقني وقال لله أبوك ألست الذي يقول [البسيط]

مَا جُودُ كَفِّكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخِلَتْ   مِنْ مَاءِ وَجْهِي إِذَا أَخْلَقْتُهُ عِوَضُ

قلت نعم.

قال أنت والله أشعر أهل الزمان.

فرجعت بالأعرابيّ معي إلى ابن أبي دؤاد وحدّثته بحديثه فأدخله إلى الواثق فسأله[1] ٢،٤٩
عن خبره معي فأخبره به فأمر له بمال وأحسن إليه ووهب له أحمد بن أبي دؤاد فكان يقول لي قد عظّم الله بركتك عليّ.

١ ا: فسايله.

حدّثني محمّد بن القاسم بن خلّاد قال ١،٥٠

انصرفت يوماً من عند ابن أبي دؤاد فدخلت إلى محمّد بن منصور فوجدت عنده عمارة ابن عقيل وكان خلّاً له وهو ينشده قصيدة له في الواثق أوّلها [الكامل]

عَـرَفَ ٱلدِّيَارَ رُسُومُهَـا قَـفْـرُ لَعِبَتْ بِهَـا ٱلْأَرْوَاحُ وَٱلْقَـطْـرُ

فلمّا فرغ منها قلنا له ما سمعنا أحسن من هذه الرائيّة أحسن الله إليك يا أبا عقيل. فقال والله لقد عصفتْ رائيّة طائيّكم هذا بكلّ شعر في لحنها.

قلنا له وما هي؟

قال كلمته التي هجا بها الأفشين

فقال محمّد بن يحيى بن الجهم أنا أحفظها

فقال هاتها فأنشده [الكامل]

اَلْحَقُّ أَبْلَجُ وَٱلسُّـيُوفُ عَوَارِ فَحَذَارِ مِنْ أَسَدِ ٱلْعَرِينِ حَذَارِ

فقال له عمارة أنشِدْنا ذكر النار فأنشد

مَا زَالَ سِرُّ ٱلْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِـهِ حَتَّى ٱصْطَلَى سِرَّ ٱلزِّنَادِ ٱلْوَارِي
نَارًا يُسَاوِرُ جِسْمَـهُ مِنْ حَرِّهَـا لَهَبٌ كَمَا عَصْفَرْتَ نِصْفَ إِزَارِ
طَـارَتْ لها شُعَلٌ يُهَدِّمُ لَفْحُهَـا أَرْكَانَـهُ هَـدْمًا بِغَيْرِ غُبَـارِ
فَفَصَلْنَ مِنْهُ كُلَّ مَجْمَعِ مَفْصِلٍ وَفَـعَـلْنَ فَاقِـرَةً بِكُلِّ فَقَـارِ

قال أبو بكر إنّما قال وَفَعَلْنَ فخصّ هذه اللفظة لقول الله جلّ وعز ﴿ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ ولقول الناس فعل به الفَواقِرَ أيْ الدواهي. ٢،٥٠

رَمَقُوا أَعَالِيَ جِذْعِـهِ فَكَأَنَّمَـا وَجَدُوا ٱلْهِلَالَ عَشِيَّةَ ٱلْإِفْطَارِ

ثمّ ذكر المصلّبين فقال ٣،٥٠

سُودُ ٱللِّبَاسِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ أَيْدِي ٱلشُّمُوسِ مَدَارِعًا مِنْ قَارِ
بَكَرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبَطِ ٱلنَّجَّارِ
لَا يَبْرَحُونَ ومَن رآهُمْ خَالَهُمْ أَبَدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ ٱلْأَسْفَارِ
جَهِلُوا فَلَمْ يَسْتَكْثِرُوا مِنْ طَاعَةٍ مَعْرُوفَةٍ بِعِمَارَةِ ٱلْأَعْمَارِ

فقال عمارة لله درّه لقد وجد ما أضلّته الشعراء حتّى كأنّه كان مخبوءًا له.

قال محمّد بن القاسم فاعتقدت في أبي تمّام من ذلك اليوم أنّه أشعر الناس وما كان ذا رأيي من قبل.

حدّثني أبو العبّاس عبد الله بن المعتزّ قال ١،٥١

جاءني محمّد بن يزيد المبرّد يوماً فأفضنا في ذكر أبي تمّام وسألته عنه وعن البحتريّ فقال لأبي تمّام استخراجات لطيفة ومعان طريفة لا يقول مثلها البحتريّ وهو صحيح الخاطر حسن الانتزاع. وشعر البحتريّ أحسن استواءً وأبو تمّام يقول النادر والبارد وهو المذهب الذي كان أعجب إلى الأصمعيّ. وما أشبّه أبا تمّام إلّا بغائص يخرج الدرّ والمَخْشَلَبة. ثمّ قال والله إنّ لأبي تمّام والبحتريّ من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وُجد فيه مثله.

٢،٥١ قال أبو بكر وقول أبي العبّاس المبرّد ما أشبّهه إلّا بغائص فإنّما أخذه من قول الأصمعيّ في النابغة الجعديّ تجد في شعره مطرفاً بآلاف وكساءً بوافٍ.

حدّثني عبد الله بن المعتزّ قال ١،٥٢

كان إبراهيم بن المُدَبِّر يتعصّب على أبي تمّام ويحطّه عن رتبته فلاحاني فيه يوماً فقلت له أتقول هذا لمن يقول [الطويل]

غَدَا ٱلشَّيْبُ مُخْتَطًّا بِفَوْدَيَّ خُطَّةً   سَبِيلُ ٱلرَّدَى مِنْهَا إِلَى ٱلْمَوْتِ مَهْيَعُ
هُوَ ٱلزَّوْرُ يُجْفَى وَٱلْمُعَاشِرُ يُجْتَوَى   وَذُو ٱلْإِلْفِ يُقْلَى وَٱلْجَدِيدُ يُرَقَّعُ
لَهُ مَنْظَرٌ فِي ٱلْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ   وَلٰكِنَّهُ فِي ٱلْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

٢،٥٢ ولمن يقول [الطويل]

فَإِنْ تُرْمَ عَنْ عُمْرٍ تَدَانَى بِهِ ٱلْمَدَى   فَخَانَكَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَنْزَعَا
فَمَا كُنْتَ إِلَّا ٱلسَّيْفَ لَاقَى ضَرِيبَةً   فَقَطَّعَهَا ثُمَّ ٱنْثَنَى فَتَقَطَّعَا

٣،٥٢ ولمن يقول [الكامل]

خَشَعُوا لِصَوْلَتِكَ ٱلَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ   كَٱلْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ
فَٱلْمَشْيُ هَمْسٌ وَٱلنِّدَاءُ إِشَارَةٌ   خَوْفَ ٱنْتِقَامِكَ وَٱلْحَدِيثُ سِرَارُ
أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا   بِكَ وَٱللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ
تَنْدَى عُفَاتُكَ لِلْعُفَاةِ وَتَغْتَدِي   رُفَقًا إِلَى زُوَّارِكَ ٱلزُّوَّارُ

قال وأنشدته أيضاً غير ذلك فكأنّي والله ألقمته حجراً.

٤،٥٢ قال أبو بكر أمّا قوله فَقَطَّعَهَا ثُمَّ ٱنْثَنَى فَتَقَطَّعَا فهو مأخوذ من قول البَعيث [الطويل]

وَإِنَّا لَنُعْطِي ٱلْمَشْرَفِيَّةَ حَقَّهَا   فَتَقْطَعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ

٥،٥٢ ومن قوله أيضاً [البسيط]

أَوْفَى بِهِ ٱلدَّهْرُ مِنْ أَحْدَاثِهِ شَرَفًا   وَٱلسَّيْفُ يَمْضِي مِرَارًا ثُمَّ يَنْقَصِدُ

٦،٥٢ وأمّا قوله وَٱللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ فهو من قول عبد الملك بن صالح وسأله الرشيد كيف ليل مَنبِج؟ فقال سَحَرٌ كلّه.

٧،٥٢ وقد أخذه ابن المعتزّ فقال [السريع]

يَا رُبَّ لَيْلٍ سَحَرٍ كُلُّهُ مُفْتَضِحِ ٱلْبَدْرِ عَلِيلِ ٱلنَّسِيمِ

٨،٥٢ ولو جاز أن يُصرف عن أحد من الشعراء سرقة لوجب أن يصرف عن أبي تمّام لكثرة بديعه واختراعه واتّكائه على نفسه ولكنّ حُكم النقّاد للشعر العلماء به قد مضى بأنّ الشاعرين إذا تعاورا معنىً ولفظاً أو جمعاهما أن يُجعل السبق لأقدمهما سنّاً وأوّلهما موتاً ويُنسب الأخذ إلى المتأخّر لأنّ الأكثر كذا يقع وإن كانا في عصر أُلحق بأشبههما به كلاماً فإن أشكل ذلك تركوه لهما.

٥٣ حدّثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال

جاءني فضلٌ اليزيديّ بشعر أبي تمّام فجعل يقرؤه عليّ ويعجّبني ممّن جهل مقداره. فقلت له الذين جهلوه كما قال [البسيط]

لَا يَدْهَمَنَّكَ مِنْ دَهْمَائِهِمْ عَدَدٌ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ جُلَّهُمْ بَقَرُ

فقال لي قد عابه جماعة من الرواة للشعر.
فقلت الرواة يعلمون تفسير الشعر ولا يعلمون ألفاظه وإنّما يميّز هذا منهم القليل.
فقال هذه العلّة في أمرهم.

٥٤ وكنّا عند أبي عليّ الحسين بن محمّد[١] بن فَهْم فجرى ذكر أبي تمّام فقال رجل أيّما أشعر البحتريّ أو أبو تمّام؟

فقال سمعت بعض العلماء بالشعر ولم يسمّه قد سُئل عن مثل هذا فقال وكيف يقاس البحتريّ بأبي تمّام وهو به وكلامه منه وليس أبو تمّام بالبحتريّ ولا يلتفت إلى كلامه؟

١ (بن محمّد) زيادة لتصحيح الاسم.

١،٥٥ حدّثني القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان قال

سمعت عمّك إبراهيم بن العبّاس الصوليّ يقول ما اتّكلتُ في مكاتبتي إلّا على ما يجيله خاطري ويجيش به صدري إلّا قولي وصار ما كان يُحْرِزهم يُبْرِزهم وما كان يُعْقِلهم يعتقلهم وقولي في رسالة أخرى فأنزلوه من مَعْقِل إلى عُقَّال وبدّلوه آجالاً من آمال فإنّي ألممت في قولي آجالاً من آمال بقول مسلم بن الوليد [البسيط]

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلِ

وفي المَعْقِل والعُقَّال بقول أبي تمّام.

٢،٥٥ ثمّ أنشد [الطويل]

فَإِنْ بَاشَرَ ٱلْإِصْحَارَ فَٱلْبِيضُ وَٱلْقَنَا قِرَاهُ وَأَحْوَاضُ ٱلْمَنَايَا مَنَاهِلُهْ
وَإِنْ يَبْنِ حِيطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أُولَئِكَ عُقَّالَاتُهُ لَا مَعَاقِلُهْ
وَإِلَّا فَعَلِّمْهُ بِأَنَّهُ سَاخِطٌ[١] وَدَعْهُ فَإِنَّ ٱلْخَوْفَ لَا شَكَّ قَاتِلُهْ
بِيُمْنِ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ ٱلْهُدَى وَقَامَتْ قَنَاةُ ٱلدِّينِ وَٱشْتَدَّ كَاهِلُهْ
هُوَ ٱلْبَحْرُ مِنْ أَيِّ ٱلنَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ ٱلْمَعْرُوفُ وَٱلْجُودُ سَاحِلُهْ
تَعَوَّدَ بَسْطَ ٱلْكَفِّ حَتَّى لَوَ ٱنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهْ

ثمّ قال لي أما تسمع يا قاسم؟
قلت بلى والله يا سيّدي.
قال إنّه اختُرم وما استمتع بخاطره ولا نزح رُكِيَّ فكره حتّى انقطع رشاء عمره.

٥٦ حدّثني أبو الحسين بن السَخيّ قال حدّثني الحسن بن عبد الله قال

١ ا: ساخط عليه.

سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول لأبي تمّام وقد أنشده شعرًا له في المعتصم يا أبا تمّام أمراء الكلام رعيّة لإحسانك فقال له أبو تمّام ذاك لأنّي أستضيء برأيك وأرد شريعتك.

٥٧ حدّثني أبو عبد الله الحسين بن عليّ قال حدّثني سليمان بن وهب قال

رآني أبو تمّام وأنا أكتب كتابًا فأطّلع فيه ثمّ قال لي يا أبا أيّوب كلامك ذوب شعري.

٥٨ حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال

سألت أبي عن أبي تمّام أو قال سمعني أبي وأنا ألاحي إنسانًا في أبي تمّام فقال لي ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهمًا واحدًا في أيّام أبي تمّام فلمّا مات أبو تمّام اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

٥٩ حدّثني أبو الحسن علي بن إسماعيل قال قال لي البحتريّ

أوّل ما رأيت أبا تمّام مرّة ما كنت عرفته قبلها أنّي دخلت على أبي سعيد محمّد بن يوسف وقد امتدحته بقصيدتي التي أوّلها [الكامل]

أَأَفَاقَ صَبٌّ مِنْ هَوًى فَأُفِيقَا   أَوْ خَانَ عَهْدًا أَوْ أَطَاعَ شَفِيقَا

فأنشدته إيّاها فلمّا أتممتها سرّ أبو سعيد بها وقال أحسن الله إليك يا فتى فقال له رجل في المجلس هذا أعزّك الله شعر لي عَلِقَه هذا فسبقني به إليك فتغيّر وجه أبي سعيد وقال يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمتّ به إلينا ولا تحمل نفسك على هذا.

فقلت هذا شعر لي أعزّك الله.

فقال الرجل سبحان الله يا فتى لا تقل هذا ثمّ ابتدأ فأنشد من القصيدة أبياتًا.

فقال لي أبو سعيد نحن نبلغ ما تريد ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيّرًا لا أدري ما أقول ونويت أن أسأل عن الرجل من هو فما أبعدت حتّى ردّني أبو سعيد ثمّ قال جنيت عليك فاحتمل أتدري من هذا؟

قلت لا.

قال هذا ابن عمّك حبيب بن أوس الطائيّ أبو تمّام فقم إليه.

فقمت إليه فعانقته ثمّ أقبل يقرّظني ويصف شعري وقال إنّما مزحت معك فلزمته بعد ذلك وكثر عجبي من سرعة حفظه.

حدّثني علي بن إسماعيل قال ٦٠

كنت عند البحتريّ فأنشدته وهو كالمفكّر [الكامل]

أَحْلَى ٱلرِّجَالِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ مَوَاقِعًا … مَنْ كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا
فَٱطْلُبْ هُدُوءًا فِي ٱلتَّقَلْقُلِ وَٱسْتَثِرْ[1] … بِٱلْعِيسِ مِنْ تَحْتِ ٱلسُّهَادِ هُجُودَا
مِن كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عَلَلِ ٱلسُّرَى … وَخْدًا[2] يَبِيتُ ٱلنَّوْمُ فِيهِ شَرِيدَا
طَلَبَتْ رَبِيعَ رَبِيعَةَ ٱلْمُمْهَى لَنَا … وَوَرَدْنَ ظِلَّ رَبِيعَةَ ٱلْمَمْدُودَا
ذُهْلِيِّهَا[3] مُرِّيِّهَا مَطَرِيِّهَا … يُمْنَى يَدَيْهَا خَالِدَ بْنَ يَزِيدَا
نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ ٱلضُّحَى … نُورًا وَمِنْ فَلَقِ ٱلصَّبَاحِ عَمُودَا
عُرْيَانَ لَا يَكْبُو دَلِيلٌ مِنْ عَمًى … فِيهِ وَلَا يَبْغِي عَلَيْهِ شُهُودَا
شَرَفٌ عَلَى أُولَى ٱلزَّمَانِ وَإِنَّمَا … خَلَقُ ٱلْمَنَاسِبِ أَنْ يَكُونَ جَدِيدَا
مَطَرٌ أَبُوكَ أَبُو أَهِلَّةِ وَائِلٍ … مَلَأَ ٱلْبَسِيطَةَ عُدَّةً وَعَدِيدَا
وَرِثُوا ٱلْأُبُوَّةَ وَٱلْحُظُوظَ فَأَصْبَحُوا … جَمَعُوا جُدُودًا فِي ٱلْعُلَا وَجُدُودَا
إِنَّ ٱلْقَوَافِيَ وَٱلْمَسَاعِيَ لَمْ تَزَلْ … مِثْلَ ٱلنِّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا
هِيَ جَوْهَرٌ نَثْرٌ فَإِنْ أَلَّفْتَهُ … بِٱلنَّظْمِ صَارَ قَلَائِدًا وَعُقُودَا

---

١ ا: واستتر. ٢ ا: خدّا. ٣ ا: هُذليّها.

فقال ما هذا؟ وهو فزع.

فقلت له ألا تعرفه؟ هذا لأبي تمّام.

فقال أذكرتَني والله وسررتني لا يحسن هذا الإحسان أحد غيره.

١،٦١ حدّثني محمّد بن موسى بن حمّاد قال

كنت عند الحسن بن وَهْب فدخل إليه أبو سليمان داود بن الجرّاح كاتب أبي إسحاق إبراهيم بن العبّاس فسأله عن خبره فأخبره بما أراده ثم قال ناظر اليوم أبو إسحاق رجلاً في دولة بني أميّة ودولة بني العبّاس مدّها الله.

فقال له الرجل أين مثل شعراء بني أميّة الذين كانوا في زمانهم؟

فقال له أبو إسحاق إنْ كانت دولة بني أميّة حلبة الشعراء فدولة بني هاشم حلبة الكتّاب.

فقال الحسن ما يترك أبو إسحاق عصبيّته للأوائل من الشعراء والله ما كان في دولة بني أميّة مثله هلاّ قال أنا أعدّ شعراء هذه الدولة فعُدّ كتّاب تلك الدولة؟ ثمّ أقبل علينا الحسن قال أمّا البلاغة في الكِتبة فما يُنازع أهل هذه الدولة فيها وأمّا الشعر فلا أعرف مع كثرة مدحي له وشغفي به في قديمه ولا حديثه أحسن من قول أبي تمّام في المعتصم بالله ولا أبدع معاني ولا أكمل مدحاً ولا أعذب لفظاً ثمّ أنشد [البسيط]

فَتْحُ ٱلْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ ٱلْخُطَبِ

قال أبو بكر ما سمعت تَعَالَى إلّا في هذا الخبر والناس يروونه ٱلْمُعَلَّى[١]

٢،٦١ فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ ٱلْأَرْضُ فِي أَبْرَادِهَا ٱلْقُشُبِ
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُورِيَّةَ ٱنْصَرَفَتْ عَنْكَ ٱلْمُنَى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ ٱلْحَلَبِ
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي ٱلْإِسْلَامِ فِي صَعَدٍ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَدَارَ ٱلشِّرْكِ فِي صَبَبِ

١ أثبت ع (المُعَلَّى) زيادة يقتضيها السياق.

أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا   فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ مِنْهُمُ وَأَبِ
وَبَرْزَةُ ٱلْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا   كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ
مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذٰلِكَ قَدْ   شَابَتْ نَوَاصِي ٱللَّيَالِي وَهْيَ لَمْ تَشِبِ
بِكْرٌ فَمَا ٱفْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ   وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ ٱلنُّوَبِ
جَرَى لَهَا ٱلْفَأْلُ بَرْحًا يَوْمَ أَنْقِرَةٍ   إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ ٱلسَّاحَاتِ وَٱلرَّحَبِ
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِٱلْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ   كَانَ ٱلْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ ٱلْجَرَبِ
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِهَا   لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ ٱلصَّخْرِ وَٱلْخَشَبِ
غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ ٱللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى   يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ ٱللَّهَبِ
حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ ٱلدُّجَى رَغِبَتْ   عَنْ لَوْنِهَا وَكَأَنَّ ٱلشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ
ضَوْءٌ مِنَ ٱلنَّارِ وَٱلظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ   وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ

قال أبو بكر كذا قال أبو مالك ضَوْءٌ والرواية صُبْحٌ.

فَٱلشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ   وَٱلشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ ٣،٦١
مَا رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ   غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًى مِنْ رَبْعِهَا ٱلْخَرِبِ
وَلَا ٱلْخُدُودُ وَلَوْ أُدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ   أَشْهَى إِلَى نَاظِرٍ مِنْ خَدِّهَا ٱلتَّرِبِ
سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنْهَا ٱلْعُيُونُ بِهَا   عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ
وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْقَى عَوَاقِبُهُ   جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ مِنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ
تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِٱللهِ مُنْتَقِمٍ   لِلهِ مُرْتَقِبٍ فِي ٱللهِ مُرْتَغِبِ
لَمْ يَرْمِ[1] قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ   إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ ٱلرُّعُبِ
لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ ٱلْوَغَى لَغَدَا   مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
لَمَّا رَأَى ٱلْحَرْبَ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ تُوفَلِسٌ   وَٱلْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ ٱلْمَعْنَى مِنَ ٱلْحَرَبِ
وَلَّى وَقَدْ أَلْجَمَ ٱلْخَطِّيُّ مَنْطِقَهُ   بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا ٱلْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ
بَصُرْتَ بِٱلرَّاحَةِ ٱلْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا   تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ ٱلتَّعَبِ

١ ا: لم يرِ.

إنْ كَانَ بَيْنَ مُرُورِ ٱلدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ   مَوْصُولَةٍ وَذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ ٱللاَّئِي نُصِرْتَ بِهَا   وَبَيْنِ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ ٱلنَّسَبِ

ثمّ قال هل وقع في لفظة من هذا الشعر خلل؟ كان يمرّ للقدماء بيتان يستحسنان في قصيدة فيُجَلّون بذلك وهذا كلّه بديع جيّد.

قال أبو أحمد وما رأيت أحداً في نفس أحد أجلّ من أبي تمّام في نفس الحسن بن وهب قال وكان الحسن يحفظ أكثر شعر أبي تمّام كأنّه يختار من القصيدة ما يحفظه. ٤،٦١

وقيل لأبي تمّام مدحت دينار بن يزيد فقال ما أردت بمدحه إلّا أن أكشف شعر عليّ بن جَبَلة فيه فقلت ٦٢

مَهَاةَ ٱلنَّقَا وَلَوْلَا ٱلشَّوَى وَٱلْمَآبِضُ

ولم يمدحه بغيرها.

حدّثني به عليّ بن إسماعيل قال حدّثني عليّ بن العبّاس الروميّ قال حدّثني مِثقال قال ٦٣
دخلت على أبي تمّام وقد عمل شعراً لم أسمع أحسن منه وفي الأبيات بيت واحد ليس كسائرها وعلم أنّي قد وقفت على البيت فقلت له لو أسقطت هذا البيت فضحك وقال لي أتراك أعلم بهذا منّي؟ إنّما مثل هذا مثل رجل له بنون جماعة كلّهم أديب جميل متقدّم فيهم واحد قبيح متخلّف فهو يعرف أمره ويرى مكانه ولا يشتهي أن يموت ولهذه العلّة وقع مثل هذا في أشعار الناس.

حدّثنا أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال ١،٦٤

لمّا قدم أبو تمّام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه فقالوا نسمع شعر هذا العراقيّ فسألوه أن ينشدهم فقال قد وعدني الأمير أن أنشده غداً وستسمعون. فلمّا دخل على عبد الله أنشده [الطويل]

هُنَّ[١] عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهْ   فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ ٱلسُّؤْلَ طَالِبُهْ

فلمّا بلغ إلى قوله

وَقَلْقَلَ نَأْيٌ مِنْ خُرَاسَانَ جَأْشَهَا   فَقُلْتُ ٱطْمَئِنِّي أَنْضَرُ ٱلرَّوْضِ عَازِبُهْ
وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ[٢] ٱلْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا   عَلَى مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ دَاجٍ غَيَاهِبُهْ
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ   وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ
عَلَى كُلِّ رَوَّادِ ٱلْمِلَاطِ تَهَدَّمَتْ   عَرِيكَتُهُ ٱلْعَلْيَاءُ وَٱنْضَمَّ حَالِبُهْ
رَعَتْهُ ٱلْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً   رَعَاهَا وَمَاءُ ٱلرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ

ويروى رَعَتْهُ الصَّحَارى ويروى رَعَتْهُ ٱلْفَيَافِي جمع فَيْفَاة. ٢،٦٤

فصاح الشعراء بالأمير أبي العبّاس ما يستحقّ مثل هذا الشعر إلّا الأمير أعزّه الله ٣،٦٤
وقال شاعر منهم يعرف بالرِّياحيّ لي عند الأمير أعزّه الله جائزة وعدني بها وهي له جزاءً عن قوله.

فقال الأمير بل نضعفها لك ونقوم بالواجب له فلمّا فرغ من القصيدة نُثر عليه ألف دينار فلقطها الغلمان ولم يمسّ منها شيئاً فوجد عليه الأمير وقال يترفّع عن برّي ويتهاون بما أكرمته به.

قال فما بلغ بعد ذلك ما أراد منه.

قوله وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ مأخوذ من قول البَعيث [الطويل] ٤،٦٤

١ ا: هُنَّ، كما أثبت في الديوان أيضاً بتكسير الوزن، ويروى (أَهُنَّ) في بعض مخطوطات الديوان. ٢ ا: امثال.

أَطَافَتْ بِشُعْثٍ كَٱلْأَسِنَّةِ هُجَّدٍ بِخَاشِعَةِ ٱلْأَصْوَاءِ[١] غُبْرٍ صُحُونُهَا

وهذان البيتان ٥،٦٤

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ دَاجٍ غَيَاهِبُهْ[٢]
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

فهما منقولان من قول الشاعر [الوافر]

غُلَامُ وَغًى تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَى فَخَانَ بَلَاءَهُ دَهْرٌ خَؤُونُ
فَكَانَ عَلَى ٱلْفَتَى ٱلْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَتِ ٱلْمَنُونُ

حدّثنا محمّد بن يزيد الأزديّ قال سمعت الحسن بن رجاء يقول ١،٦٥

ما رأيت أحدًا قطّ أعلم بجيّد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمّام.

حدّثني الحسين بن إسحاق قال سمعت ابن الدقّاق يقول ٢،٦٥

حضرنا مع أبي تمّام وهو ينتخب أشعار المحدثين فمرّ به شعر محمّد بن أبي عُيَيْنة المطبوع الذي يهجو به[٣] خالدًا فنظر فيه ورمى به وقال هذا كلّه مختار.

وهذا أدلّ دليل على علم أبي تمّام بالشعر لأنّ ابن أبي عيينة أبعد الناس شبهًا به وذلك أنّه يتكلّم بطبعه ولا يكدّ فكره ويخرج ألفاظه مخرج نَفَسه وأبو تمّام يتعب نفْسه ويكدّ طبعه ويطيل فكره ويعمل المعاني ويستنبطها ولكنّه قال هذا في ابن أبي عُيينة لعلمه بجيّد الشعر أيّ نحو كان.

حدّثني محمّد بن موسى قال سمعت الحسن بن وهب يقول ١،٦٦

١ ا: الاضواء. ٢ ا: رواية (تسطو غياهبُهْ) مكتوبة في الهامش. ٣ (به) زيادة يقتضيها السياق.

دخل أبو تمّام على محمّد بن عبد الملك فأنشده قصيدته التي أوّلها [الطويل]

لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا[1]

فلمّا بلغ إلى قوله

وَجَدْنَاكَ أَنْدَى مِنْ رِجَالٍ أَنَامِلاً ... وَأَحْسَنَ فِي ٱلْحَاجَاتِ[2] وَجْهاً وَأَجْمَلَا
تُضِيءُ إِذَا ٱسْوَدَّ ٱلزَّمَانُ وَبَعْضُهُمْ ... يَرَى ٱلْمَوْتَ أَنْ يَنْهَلَّ أَوْ يَتَهَلَّلَا
وَوَٱللّٰهِ مَا آتِيكَ إِلَّا فَرِيضَةً ... وَآتِي جَمِيعَ ٱلنَّاسِ إِلَّا تَنَفُّلَا
وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ فِي ٱلنَّاسِ كُنْتَ سِلَاحَهُ ... عَشِيَّةَ[3] يَلْقَى ٱلْحَادِثَاتِ بِأَعْزَلَا

فقال له محمّد والله ما أحبّ بمدحك مدح غيرك لتجويدك وإبداعك ولكنّك تنغّص مدحك ببذله لغير مستحقّه.

فقال لسان العذر معقول وإن كان فصيحاً. ومرّ في القصيدة فأمر له بخمسة آلاف درهم.

وكتب إليه بعد ذلك [الطويل] ٢،٦٦

رَأَيْتُكَ سَمْحَ ٱلْبَيْعِ سَهْلاً وَإِنَّمَا ... يُغَالَى إِذَا مَا ضَنَّ بِٱلْبَيْعِ بَائِعُهْ
فَأَمَّا إِذَا هَانَتْ بَضَائِعُ مَالِهِ ... فَيُوشِكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بَضَائِعُهْ
هُوَ ٱلْمَاءُ إِنْ أَجْمَمْتَهُ طَابَ وِرْدُهُ ... وَيُفْسِدُ مِنْهُ أَنْ تُبَاحَ شَرَائِعُهْ

حدّثني أبو بكر أحمد بن سعيد الطائيّ قال ٦٧

كان ابن عبد كان وإسماعيل بن القاسم وهما علمان من أعلام الكتّاب والأدب يقولان البحتريّ أشعر من أبي تمّام.

١ ا: عليها أنْ نَقُولَ ونفعلا. ٢ ا: الحالات. ٣ ا: عشيه.

قال فذكرت ذلك للبحتريّ فقال لي لا تفعل يا ابن عمّ فوالله ما أكلت الخبز إلّا به.

حدّثنا عبد الله بن الحسين قال حدّثني البحتريّ قال ٦٨

سمعت أبا تمّام يقول أوّل شعر قلته [الطويل]

تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي

ومدحت بها عيّاش بن لهيعة فأعطاني خمسة آلاف درهم.

حدّثني محمّد بن عبد الله التميميّ أبو عبد الله الحَزَنْبَل قال حدّثني سعيد بن جابِر الكَرْخيّ ٦٩،١
قال حدّثني أبي قال

حضرت أبا تمّام وقد أنشد أبا دُلَف قصيدته البائيّة التي امتحده بها وعنده جماعة من أشراف العرب والعجم التي أوّلها [الطويل]

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَاعِبِ ... أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَاكِبِ
أَمَيْدَانَ لَهْوِي مَنْ أَتَاحَ لَكَ ٱلْبِلَى ... فَأَصْبَحْتَ مَيْدَانَ ٱلصَّبَا وَٱلْجَنَائِبِ

فلمّا بلغ إلى قوله

إِذَا ٱلْعِيسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلَفٍ فَقَدْ ... تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلنَّوَائِبِ
إِذَا مَا غَدَا أَغْدَى كَرِيمَةَ مَالِهِ ... هَدِيًّا وَلَوْ زُفَّتْ لِأَلْأَمِ خَاطِبِ
وَأَحْسَنُ مِن نَوْرٍ يُفَتِّحُهُ ٱلنَّدَى ... بَيَاضُ ٱلْعَطَايَا فِي سَوَادِ ٱلْمَطَالِبِ
إِذَا أَلْجَمَتْ يَوْمًا لُجَيْمٌ وَحَوْلَهَا ... بَنُو ٱلْحِصْنِ نَجْلُ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلنَّجَائِبِ
فَإِنَّ ٱلْمَنَايَا وَٱلصَّوَارِمَ وَٱلْقَنَا ... أَقَارِبُهُمْ فِي ٱلرَّوْعِ دُونَ ٱلْأَقَارِبِ
إذا ٱفْتَخَرَتْ يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا ... وَزَادَتْ عَلَى مَا وَطَّدَتْ مِنْ مَنَاقِبِ

فَأَنْتُمْ بِذِي قَارٍ أَمَالَتْ سُيُوفُكُمْ عُرُوشَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَرْهَنُوا قَوْسَ حَاجِبِ
مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى يَقْرِنُوا بِهَا مَحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَٱلْمَعَائِبِ
مَكَارِمُ لَجَّتْ فِي عُلُوٍّ كَأَنَّمَا تُحَاوِلُ ثَأْرًا عِنْدَ بَعْضِ ٱلْكَوَاكِبِ

أخذ هذا عليّ بن الجهم فوصف الفوّارة فقال [المتقارب] ٢،٦٩

وَفَوَّارَةٍ ثَأْرُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ ثَأْرِهَا

قال فقال أبو دُلف يا معشر ربيعة ما مدحتم بمثل هذا الشعر قطّ فما عندكم لقائله؟ ٣،٦٩
قال فبادروه بمطارفهم وعمائمهم يرمون بها إليه فقال أبو دلف قد قبلها وأعاركم لبسها
وسأنوب في ثوابه عنكم تمّم يا أبا تمّام. فلمّا بلغ إلى قوله

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى ٱلشِّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَتْ حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي ٱلْعُصُورِ ٱلذَّوَاهِبِ
وَلٰكِنَّهُ صَوْبُ ٱلْعُقُولِ إِذَا ٱنْثَنَتْ سَحَائِبُ مِنْهَا أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ

فقال أبو دلف ادفعوا إلى أبي تمّام خمسين ألف درهم ووالله إنّها لدون شعره.
ثمّ قال له ما مثل هذا القول إلّا ما رثيتَ به محمّد بن حُميد قال ٤،٦٩
وأيّ ذلك أراد الأمير؟
قال قولك [الطويل]

وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ ٱلضَّرْبِ وَٱعْتَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلْقَنَا ٱلسُّمْرُ
وَقَدْ كَانَ فَوْتُ ٱلْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ إِلَيْهِ ٱلْحِفَاظُ ٱلْمُرُّ وَٱلْخُلُقُ ٱلْوَعْرُ
فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ ٱلْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمُصِكِ ٱلْحَشْرُ
غَدَا غُدْوَةً وَٱلْحَمْدُ حَشْوُ رِدَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ ٱلْأَجْرُ
كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا ٱلْبَدْرُ
يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ ٱلْعُلَا وَيَبْكِي عَلَيْهِ ٱلْجُودُ وَٱلْبَأْسُ وَٱلشِّعْرُ

وددتُ والله أنّها لك فيّ.
فقال بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدَّم قبل.
فقال له لم يمت من رثي بمثل هذا الشعر.

قال أبو بكر ومن أعجب العجب وأفظع المنكر أنّ قوماً عابوا قوله ٥،٦٩

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا ٱلْبَدْرُ

فقالوا أراد أن يمدحه فهجاه كأنّ[١] أهله كانوا خاملين بحياته فلمّا مات أضاءوا بموته وقالوا كان يجب أن يقول كما قال الخُرَيْميّ [الطويل]

إِذَا قَمَرٌ مِنْهُمْ تَغَوَّرَ أَوْخَبَا بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ ٱلْأُفْقِ يَلْمَعُ

٦،٦٩ ولا أعرف لمن صحّ عقله ونفذ في علم من العلوم خاطرُه عذراً في مثل هذا القول ولا أعذر من يسمعه فلا يردّه عليه اللّهمّ إلّا أن يكون يريد عيبه والطعن عليه. ولِمَ يعرض من يذهب هذا عليه لعلم الشعر والكلام في معانيه وتمييز ألفاظه؟ ولعلّه ظنّ أنّ هذا العلم ممّا يقع لأفطن الناس وأذكاهم من غير تعليم وتعب شديد ولزوم لأهله طويل فكيف لأبلدهم وأغباهم؟ وليس من أجابه طبعه إلى فنّ من العلوم أو فنّين أجابه إلى غير ذلك.

٧،٦٩ قد كان الخليل بن أحمد أذكى العرب والعجم في وقته بإجماع أكثر الناس[٢] فنفذ طبعه في كلّ شيء تعاطاه ثمّ شرع في الكلام فتخلّفت قريحته ووقع منه بعيداً فأصحابه يحتجّون عن شيء لفظ به إلى الآن.

٨،٦٩ وليت شعري متى جالس هؤلاء القوم من يحسن هذا أو أخذوا عنه وسمعوا قوله؟ أتراهم يظنّون أنّ من فسّر غريب قصيدة أو أقام إعرابها أحسن أن يختار

١ ا: لانّ. ٢ ا: باكثر اجماع الناس.

جيّدها ويعرف الوسط والدون منها ويميّز ألفاظها؟ وأيّ أئمّتهم كان يحسنه آلذي[1] يقول وهو يهجو الأصمعيّ بزعمه [البسيط]

إِنِّي لَأَرْفَعُ نَفْسِي ٱلْيَوْمَ عَنْ رَجُلٍ   مَا شَكْلُهُ لِيَ شَكْلٌ بَلْ هُوَ ٱلنَّابِي
فِيهِ ٱلْمَعَائِبُ مَا تَخْلُو وَحُقَّ لَهُ   لِأَنَّهُ كَاذِبٌ يُدْعَى لِكَذَّابِ
لَمَّا ٱلْتَقَيْنَا وَقَدْ جَدَّ ٱلْجِرَاءُ بِنَا   جَاءَ ٱلْجَوَادُ أَمَامَ ٱلْكَوْدَنِ ٱلْكَابِي

أو الذي يقول في مجلس بعض أجلّاء الكتّاب وقد حلّفه صاحب المجلس أن ينشده من شعره إن كان قال شعرًا فاستعفاه فلم يزل به إلى أن أنشده لنفسه [الرجز]

مَنْ يَشْتَرِي شَيْخًا بِدِرْهَمَيْنِ   قَدْ شَاخَ ثُمَّ دَرَّ مَرَّتَيْنِ
لَيْسَ لَهُ سِوَى ثَنِيَّتَيْنِ

٩،٦٩ فهذه أشعار أئمّتهم وما ظننت أنّ أحدًا يتعلّق بقليل الأدب يجهل هذا الذي عابوه على أبي تمّام ولا أنّ الله عزّ وجلّ يحوجني إلى تفسير مثله أبدًا وقد قالت الحكماء لو سكت من لا يدري استراح الناس. وقالوا بكثرة لا أدري يقلّ الخطأ. وقال بعض الأوائل لقد حسنت عندي لا أدري حتّى أردت أقولها فيما أدري وقال بعض الشعراء [الطويل]

سَأَقْضِي بِحَقٍّ يَتْبَعُ ٱلنَّاسُ نَهْجَهُ   وَيَنْفَعُ أَهْلَ ٱلْجَهْلِ عِنْدَ ذَوِي ٱلْخُبْرِ
إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَمْ تَسَلِ ٱلَّذِي   تُرَى أَنَّهُ يَدْرِي فَكَيْفَ إِذَنْ تَدْرِي

وأنا مفسّر ذلك إن شاء الله.

١٠،٦٩ يروى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه أنّ رجلًا ذكر له بعض أهل الفضل فقال له صدقت ولكنّ السراج لا يضيء بالنهار. فلم يُرِد رضوان الله

[1] ١ ا: الذي.

عليه أنّ ضوء السراج ليس حالًّا فيه ولا أنّه زالت عنه ذاته ولكنّه بالإضافة إلى ضوء النهار لا يضيء ولم يطعن على ضوء النهار ولا على السراج ولكنّه قال فاضلٌ وأفضل منه وقال الشاعر وأحسن [الطويل]

أَصَفْرَاءُ كَانَ ٱلْوُدُّ مِنْكِ مُبَاحًا لَيَالِيَ كَانَ ٱلْهَجْرُ مِنْكِ مُزَاحَا
وَكُنَّ جَوَارِي ٱلْحَيِّ إِذْ كُنْتِ فِيهِمُ قِبَاحًا فَلَمَّا غِبْتِ صِرْنَ مِلَاحَا

وما أراد إلّا تفضيلها ولم يطعن على أحد والقباح لا يصرن ملاحًا في لحظة ولكنّه أراد أنّهنّ ملاح وهي أملح منهنّ فإذا اجتمعن كنّ دونها.

وقال إبراهيم بن العبّاس الصوليّ [البسيط] ١١،٦٩

مَا كُنْتِ فِيهِنَّ إِلَّا كُنْتِ وَاسِطَةً وَكُنَّ دُونَكِ يُمْنَاهَا وَيُسْرَاهَا

أنشدَناه[١] أبو العبّاس أحمد بن يحيى عن إبراهيم بن العبّاس وأملى شعر إبراهيم إملاءً وكان يستجيد هذا. ولم يُرِد إبراهيم أن يذمّهنّ وهنّ معها في نظم ولكنّه فضّلها. فأراد أبو تمّام تفضيله عليهم وإن كانوا أفاضل. وليس ضياء البدر يذهب بالكواكب جملةً ولا ينقل طبعها ولكنّ المستضيء به أبصر من المستضيء بالكواكب فإذا فقد البدر استضاء بهذه وهي دونه. فكأنّ أبا تمّام قال إن ذهب البدر منهم فقد بقيتْ فيهم[٢] كواكب.

وقد أحسن الذي يقول [الوافر] ١٢،٦٩

وَلَسْتُ بِشَاتِمٍ كَعْبًا وَلٰكِنْ عَلَى كَعْبٍ وَشَاعِرِهَا ٱلسَّلَامُ
بَنَانَا ٱللّٰهُ فَوْقَ بِنَاءِ أَبِينَا كَمَا يُبْنَى عَلَى ٱلشَّبَحِ ٱلسَّنَامُ
وَكَائِنْ فِي ٱلْمَعَاشِرِ مِنْ أُنَاسٍ أَخُوهُمْ مِنْهُمُ وَهُمُ كِرَامُ

---

١ ا: أنشدنا. ٢ ا: فيه.

فهذا المعنى الذي غزاه أبو تمّام.

١٣،٦٩ وقد نطق به النابغة بعينه فلو لزم أبا تمّام خطأ في هذا للزم النابغة لأنّه اعتذر إلى النُّعمان من ذهابه إلى آل جَفْنَةَ ولم يذمّهم ولكنّه فضّله عليهم وشكرهم فقال [الطويل]

وَلٰكِنَّنِي كُنْتُ ٱمْرَأً لِيَ جَانِبٌ   مِنَ ٱلْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ[١] وَمَطْلَبُ
مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ   أُحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرَّبُ

أما ترى كيف مدحهم؟ ثمّ قال

كَفِعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ ٱصْطَنَعْتَهُمْ   فَلَمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرِ ذٰلِكَ أَذْنَبُوا

وهذه[٢] أحسن معارضة وأوضح حجّة. يقول لا تَعِبْ شكري لهؤلاء عندك كما أنّك إذا أحسنت إلى قوم فشكروك عند أعدائك فليس ذلك بذنب لهم. ثمّ فضّله عليهم فقال [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً   تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ
بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ   إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

١٤،٦٩ وهذا مفسّر بأشياء تؤول إلى معنًى واحد وهو فضلك عليهم كفضل الشمس على الكواكب. وقيل أراد أنّك ما صلُحتَ لي لم أحتج إلى هؤلاء وإن كان فيهم فضل كما أنّ من أضاءت له الشمس لم يحتج إلى انتظار ضوء الكواكب.

١٥،٦٩ فحدّثني القاسم بن إسماعيل قال سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول

لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به إلّا في أضعاف كلامه.

١ ا: مستزاد. ٢ كذا في ا.

وكان يفضّل هذا الشعر على جميع الأشعار. وقد سبق النابغة إلى هذا شعراء كِندةَ فقال رجل[1] يمدح عمرو بن هِند من كلمة [الطويل]

تَكَادُ تَمِيدُ ٱلْأَرْضُ بِٱلنَّاسِ أَنْ رَأَوْا ... لِعَمْرِو بْنِ هِنْدٍ غُضْبَةً وَهْوَ عَاتِبُ
هُوَ ٱلشَّمْسُ وَافَتْ يَوْمَ سَعْدٍ فَأَفْضَلَتْ ... عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبُ

أنشدها أبو مُحَلِّم.

١٦،٦٩ وقد أتى أبو تمّام بمعنى قول النابغة الذي فسّره إبراهيم بن العبّاس نقلاً إلّا أنّه في الغزل [الطويل]

وَقَالَتْ أَتَنْسَى ٱلْبَدْرَ قُلْتُ تَجَلُّدًا ... إِذَا ٱلشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ ٱلْبَدْرُ

فهذا الذي أراده أبو تمّام.

١٧،٦٩ وقال النجاشيّ [بسيط]

نِعْمَ ٱلْفَتَى أَنْتَ إِلَّا أَنَّ بَيْنَكُمَا ... كَمَا تَفَاضَلَ ضَوْءُ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرُ

١٨،٦٩ وأنشد أبو مُحلِّم لصَفِيّةَ الباهليّة وفيه غناء للغَريض فيما أظنّ [البسيط]

أَخْنَى عَلَى مَالِكٍ رَيْبُ ٱلزَّمَانِ وَهَلْ ... يُبْقِي ٱلزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُمِ لَيْلٍ بَيْنَنَا قَمَرٌ[2] ... يَجْلُو ٱلدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا ٱلْقَمَرُ

فهذا كلام أبي تمّام ومعناه بعينه.

١٩،٦٩ وقال جرير يرثي الوليد بن عبد الملك [البسيط]

---

١ (رجل) زيادة من ع يقتضيها السياق. ٢ ع: بينها قمر.

إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شَمَائِلَهُ   غَبْرَاءُ مَلْحُودَةٌ فِي جَوْلِهَا زَوَرُ
أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ   مِثْلَ ٱلنُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا ٱلْقَمَرُ

أفترى جريرًا أراد أن يهجو الوليد أو يقول إنّ بنيه زادوا بموته؟

وقال نُصَيْب فأخذ معنى قول النابغة بعينه [الطويل] ٢٠،٦٩

هُوَ ٱلْبَدْرُ وَٱلنَّاسُ ٱلْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ   وَهَلْ تُشْبِهُ ٱلْبَدْرَ ٱلْمُضِيءَ ٱلْكَوَاكِبُ

ثمّ قالوا فهلاّ قال كما قال الخُرَيْميّ [الطويل] ٢١،٦٩

إِذَا قَمَرٌ مِنْهُمْ تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا   بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ ٱلْأُفْقِ يَلْمَعُ

فيجب على هذا أنْ يُقال له هلاّ قال الذي يقول ٢٢،٦٩

عَفَتِ ٱلدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا   . . . [الوافر]
أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَٱصْبَحِينَا   . . . [الوافر]

وهلاّ قال امرؤ القيس مكان

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ   . . . [الطويل]
لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ   . . . [الطويل]

لأنّ المعنى الذي أراده أبو تمّام ليس ما أراد الخُرَيْميّ لأنّ أبا تمّام قصد التفضيل في السؤدد والخريميّ أراد التسوية فيه وأبو تمّام يقول مات سيّد وقام سيّد دونه والخريمي يريد مات سيّد وقام سيّد مثله. فكيف يستحسن قوم ذهب هذا عليهم أنْ ينطقوا في الشعر بحرف بعد ما فهموه؟ على أنّهم أعذر عندي ممّن يسمع منهم ويحكي قولهم. ٢٣،٦٩

وإنّما احتذى الخريميّ قول أَوْس بن حَجَر [الطويل] ٢٤،٦٩

إِذَا مُـقْرَمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِـهِ تَخَمَّطَ فِينَا نَابُ آخَرَ مُـقْرَمِ

٢٥،٦٩ وهذا كما قال أبو الطّمحان القينيّ [الطويل]

وَإِنِّي مِنَ ٱلقَوْمِ ٱلَّذِينَ هُـمُ هُـمُ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ
كَوَاكِبُ دَجْنٍ كُلَّمَا غَـابَ كَوْكَبٌ بَـدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْـهِ كَوَاكِبُـهْ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى ٱللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ ٱلجَزْعَ ثَاقِبُـهْ

٢٦،٦٩ وقال آخر [الطويل]

خِلَافَةُ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ فِينَا وِرَاثَةٌ إِذَا مَـاتَ مِنَّا سَـيِّدٌ قَـامَ سَـيِّدُ

٢٧،٦٩ وقال طُفَيْل الغَنَوِيّ [الطويل]

كَوَاكِبُ دَجْنٍ كُلَّمَا ٱنْقَضَّ كَوْكَبٌ بَدَا وَٱنْجَلَتْ عَنْهُ ٱلدُّجُنَّةُ كَوْكَبُ

٢٨،٦٩ وقال آخر [الطويل]

إِذَا سَيِّدٌ مِنَّـا مَـضَى لِسَبِيـلِهِ أَقَـامَ عَـمُودَ ٱلْمَجْـدِ آخَـرُ سَـيِّدُ

فهذا الذي أراد الخريميّ.

١،٧٠ ولولا الثقة بأنّ أشباه هذا تمرّ بهم فلا يعرفونها فإن تكلّفوها تكلّموا فيها بالجهل لصعب عليّ أن يفهم هذا غير أهله ومن يستحقّ سماع مثله. وهذه كتب جماعتهم ممّن مضى وغبر. هل نطقوا فيها بحرف من هذا قطّ أو ادّعوه أو ادّعاه مدّعٍ لهم أو تعرّضوا له؟ وفي هذا كفاية لمن خلع ثوب العصبيّة وأنصف من نفسه ونظر بعين عقله وتأمّل ما قلت بفكره فإنّ القلب بذكره وتخيّله أنظر من العين لما فقدتْه ورأتْه.

وقد أحسن ابن قَنْبَر في قوله [البسيط] ٢،٧٠

إِنْ كُنْتَ لَسْتَ مَعِي فَٱلذِّكْرُ مِنْكَ مَعِي   يَرَاكَ قَلْبِي وَإِنْ غُيِّبْتَ عَنْ بَصَرِي
وَٱلْعَيْنُ تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَى وَتَفْقِدُهُ   وَنَاظِرُ ٱلْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنَ ٱلنَّظَرِ

وكأنّ هذا من قول بشّار [المنسرح] ٣،٧٠

قَالُوا بِسَلْمَى تَهْذِي وَلَمْ تَرَهَا   يَا بُعْدَ مَا غَاوَلَتْ بِكَ ٱلْفِكَرُ
فَقُلْتُ بَعْضُ ٱلْحَدِيثِ يَشْغَفُنِي[1]   وَٱلْقَلْبُ رَاءٍ مَا لَا يَرَى ٱلْبَصَرُ

وشبيه بهذا في الشناعة عيبُهم قولَه [البسيط] ١،٧١

لَوْ خَرَّ سَيْفٌ مِنَ ٱلْعَيُّوقِ مُنْصَلِتاً   مَا كَانَ إِلَّا عَلَى هَامَاتِهِمْ يَقَعُ

وقد رواه قوم مَا كَانَ إِلَّا عَلَى أَيْمَانِهِمْ يَقَعُ ولكنّا نبيّن صوابه وخطأ عائبه على الرواية الأولى وهي عندي التي قال.

إنّما أراد أبو تمّام كلّ حرب عليهم ومعهم وأنّ كلّ سيف يقاتلهم ليسلبهم عزّهم.

وفي مثل ذلك يقول رجل من بني أبي بكر بن كِلاب. أنشدناه محمّد بن يزيد النحويّ ٢،٧١
[البسيط]

تَرْضَى ٱلْمُلُوكُ إِذَا نَالَتْ مَقَاتِلَنَا   وَيَأْخُذُونَ بِأَعْلَى غَايَةِ ٱلْحَسَبِ
وَكُلُّ حَيٍّ مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ يَطْلُبُنَا   وَكُلُّ حَيٍّ لَهُ فِي قَتْلِنَا أَرَبُ
وَٱلْقَتْلُ مِيتَتُنَا وَٱلصَّبْرُ شِيمَتُنَا   وَلَا نُرَاعُ إِذَا مَا ٱحْمَرَّتِ ٱلشُّهُبُ

١ ا: يشعفني.

وأراد مع ذلك أنّهم لا يموتون على الفُرُش والعرب تعيّر بذلك وأنّ السيوف تقع في وجوههم ورءوسهم لإقبالهم ولا تقع في أقفائهم وظهورهم لأنّهم ينهزمون[١].

٣،٧١ ولذلك قال كَعْبُ بن زُهَيْر في قصيدته التي امتدح بها النبيّ صلّى الله عليه وآله فآمنه بها بعد أن كان نذر دمه وأوّلها [البسيط]

بَانَتْ سُعَادُ فقَلْبِي ٱليَوْمَ مَتْبُولُ   مُـتَيَّمٌ إِثْرَهَـا لَمْ يُفْـدَ مَكْبُولُ

فقال فيها يمدح قريشاً

لَا يَقَـعُ ٱلطَّـعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِـمِ   لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ ٱلْمَوْتِ تَهْلِيلُ

فلِمَ لم يعيبوا هذا الشعر على كَعْب وقد سمعه النبيّ عليه السلام وأثاب عليه؟

٤،٧١ حدّثني محمّد بن العبّاس قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال

فخر رجل من ولد حبيب بن عبد الله بن الزُّبَيْر فقال أنا أعرق الناس في القتل. قُتل لي خمسة آباء متّصلين.

٥،٧١ وقال آخر [الكامل]

قَوْمٌ إِذَا خَـطَـرَ ٱلْقَـنَا   جَعَلُوا ٱلصُّدُورَ لَهَا مَسَالِكْ
لَبِسُوا ٱلْقُـلُوبَ عَلَى ٱلدُّرُو   عِ مُـظَـاهِرِينَ لِدَفْـعِ ذٰلِكْ

٦،٧١ حدّثني أبو عمر بن الرِّيَاشيّ قال حدّثنا أبي عن الأصمعيّ عن أبي عمرو قال

لمّا بلغ عبد الله بن الزبير قتلُ أخيه مُصعَب وصبره في الحرب قال إنّا والله لا نموت حَبَجًا كما تموت بنو أميّة إنّما نموت قَعْصاً بالرماح وتحت ظلال السيوف. فلو كان هذا عارًا ما فخر به.

١ كذا في ا.

ومَن عيّر بالموت على الفراش سَهْمُ بن حَنْظَلَة قال يعيّر طُفَيلَ بن عَوْف [الوافر] ٧،٧١

بِجَدٍّ مِنْ سِنَانِكَ غَيْرِ ذَمٍّ   أَبَا قُرَّانَ مُتَّ عَلَى مِثَالِ

وممّا يروى للسَّمَوْءَل وهو للحارثيّ [الطويل] ٨،٧١

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ ٱلسُّيُوفِ نُفُوسُنَا   وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ ٱلْحَدِيدِ تَسِيلُ
يُقَرِّبُ حُبُّ ٱلْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا   وتَكْرَهُـهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ   وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

وجعل آخرُ نُفوسَهُمْ غِذاءً للمنايا فقال [الطويل] ٩،٧١

وَإِنَّا لَتَسْتَحْلِي ٱلْمَنَايَا نُفُوسَنَا   وَتَتْرُكُ أُخْرَى مُرَّةً مَا تَذُوقُهَا
لَنَا نَبْعَةٌ تَهْوَى ٱلْمَنِيَّةُ رَعْيَهَا   فَقَدْ ذَهَبَتْ إِلَّا قَلِيلًا عُرُوقُهَا

أخبار أبي تمّام مع أحمد بن أبي دؤاد

حدّثني أبو بكر بن الخراسانيّ قال حدّثني عليّ الرازيّ قال ١،٧٢
شهدت أبا تمّام وغلام له ينشد ابن أبي دؤاد [الوافر]

لَقَدْ أَنْسَتْ مَسَاوِئَ كُلِّ دَهْرٍ   مَحَاسِنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادِ
فَمَا سَافَرْتُ فِي ٱلْآفَاقِ إِلَّا   وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
مُقِيمُ ٱلظَّنِّ عِنْدَكَ وَٱلْأَمَانِي   وَإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِي فِي ٱلْبِلَادِ

فقال له يا أبا تمّام أهذا المعنى الأخير ممّا اخترعته أو أخذته؟
فقال هو لي وقد ألممت بقول أبي نواس [الطويل]

وَإِنْ جَرَتِ ٱلْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ   لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ ٱلَّذِي نَعْنِي

قال أبو بكر وكنت يوماً في مجلسٍ فيه جماعة من أهل الأدب والعصبيّة لأبي نواس ٢،٧٢
حتّى يفرطوا فقال بعضهم أبو نواس أشعر من بشّار فرددت ذلك عليه وعرّفته ما جهله من فضل بشّار وتقدّمه وأخذ جميع المحدثين منه واتّباعهم أثره.
فقال لي قد سبق أبو نواس إلى معانٍ تفرّد بها.
فقلت له ما منها؟ فجعل كلّما أنشدني شيئاً جئت بأصله فكان من ذلك قوله

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ   فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ ٱلَّذِي نُثْنِي
وَإِنْ جَرَتِ ٱلْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِدْحَةٍ   لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ ٱلَّذِي نَعْنِي

فقلت أمّا البيت الأوّل فهو من قول الخَنْساء [الطويل]

فَمَا بَلَغَ ٱلْمُهْدُون لِلنَّاسِ مِدْحَةً   وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا ٱلَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

ومن قول عَدِيّ بن الرِّقاع [الكامل]

أُثْنِي فَلَا آلُو وَأَعْلَمُ أَنَّهُ   فَوْقَ ٱلَّذِي أُثْنِي بِهِ وَأَقُولُ

وأمّا البيت الثاني فمن قول الفرزدق لأيّوب بن سليمان بن عبد الملك [الطويل] ٣،٧٢

وَمَا وَامَرَتْنِي ٱلنَّفْسُ فِي رِحْلَةٍ لَهَا   إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا

حدّثني أحمد بن إبراهيم قال حدّثني محمّد بن رَوْح الكِلابيّ قال ٧٣

نزل عليّ أبو تمّام الطائيّ فحدّثني أنّه امتدح المعتصم بسُرَّ مَن رأى بعد فتح عمّوريّة فذكره ابن أبي دؤاد للمعتصم.

فقال له أليس الذي أنشدنا بالمَصِّيصَة الأجشّ الصوت؟

قال يا أمير المؤمنين إنّ معه راوية حسن النشيد فأذن له فأنشده راويته مدحه له ولم يذكر القصيدة فأمر له بدراهم كثيرة وصكّ ماله على إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ.

قال أبو تمّام فدخلت إليه بالصكّ وأنشدته مديحًا له فاستحسنه وأمر لي بدون ما أمر لي به المعتصم قليلاً وقال والله لو أمر لك أمير المؤمنين بعدد الدراهم دنانير لأمرت لك بذلك.

حدّثني أبو عليّ الحسين بن يحيى الكاتب قال حدّثني محمّد بن عمرو الروميّ قال ٧٤

ما رأيت قطّ أجمع رأيًا من ابن أبي دؤاد ولا أحضر حجّة.

قال له الواثق يا أبا عبد الله رُفعتْ إليّ رقعة فيها كذب كثير.

قال ليس بعجب أن أُحسد على منزلتي من أمير المؤمنين فيُكذب عليّ.

قال زعموا فيها أنّك ولّيت القضاء رجلاً ضريرًا.

قال قد كان ذاك وكنت عازماً على عزله حين أُصيب ببصره فبلغني عنه أنّه عَمِي من كثرة بكائه على أمير المؤمنين المعتصم فحفظت له ذاك.

قال وفيها أنّك أعطيت شاعرًا ألف دينار.

قال ما كان ذاك ولكنّي أعطيته دونها وقد أثاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كَعْب بن زهير الشاعر وقال في آخر أقطع عنّي لسانه. وهو شاعر مدّاح لأمير المؤمنين مصيب محسن ولو لم أَرْعَ له إلّا قوله للمعتصم رضي الله عنه في أمير المؤمنين أعزّه الله [الكامل]

فَٱشْدُدْ بِهَارُونَ ٱلْخِلَافَةَ إِنَّهُ   سَكَنٌ لِوَحْشَتِهَا وَدَارُ قَرَارِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ ذٰلِكَ مِعْصَمٌ   مَا كُنْتَ تَتْرُكُهُ بِغَيْرِ سِوَارِ

فقال قد وصلته بخمسمائة دينار.

قال ودخل أبو تمّام على أحمد بن أبي دؤاد وقد شرب الدواء فأنشده [المنسرح] ٧٥

أَعْقَبَكَ ٱللهُ صِحَّةَ ٱلْبَدَنِ   مَا هَتَفَ ٱلْهَاتِفَاتُ فِي ٱلْغُصُنِ
كَيْفَ وَجَدْتَ ٱلدَّوَاءَ أَوْجَدَكَ ٱللهُ   شِفَاءً بِهِ مَدَى ٱلزَّمَنِ
لَا نَزَعَ ٱللهُ مِنْكَ صَالِحَةً   أَبْلَيْتَهَا مِنْ بَلَائِكَ ٱلْحَسَنِ
لَا زِلْتَ تُزْهَى بِكُلِّ عَافِيَةٍ   تَجْتَنُّهَا مِنْ مَعَارِضِ ٱلْفِتَنِ
إِنَّ بَقَاءَ ٱلْجَوَادِ أَحْمَدَ فِي   أَعْنَاقِنَا مِنَّةٌ مِنَ ٱلْمِنَنِ
لَوْ أَنَّ أَعْمَارَنَا تُطَاوِعُنَا   شَاطَرَهُ ٱلْعُمْرَ سَادَةُ ٱلْيَمَنِ

حدّثني أبو عبد الله محمّد بن عبد الله المعروف بالزائر قال حدّثني أبي قال ٧٦

دخل أبو تمّام على أحمد بن أبي دؤاد وقد كان عتب عليه في شيء فاعتذر إليه وقال أنت الناس كلّهم ولا طاقة لي بغضب جميع الناس. فقال له ابن أبي دؤاد ما أحسن هذا فمن أين أخذته؟

قال من قول أبي نواس [السريع]

وَلَيْسَ لِلّٰهِ بِمُسْتَنْكَرٍ   أَنْ جَمَعَ ٱلْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

سمعت محمّد بن القاسم يقول ٧٧

قال ابن أبي دؤاد لأبي تمّام إنّ لك أبياتاً أُنشدتُها لو قلتها زاهداً أو معتبراً أو حاضّاً على طاعة الله جلّ وعزّ لكنتَ قد أحسنت وبالغت فأنشدْنيها.

قال وما هي؟

قال التي قافيتها فأَدْخُلَها فأنشده [البسيط]

قُلْ لِٱبْنِ طَوْقٍ رَحَى سَعْدٍ إِذَا خَبَطَتْ   نَوَائِبُ ٱلدَّهْرِ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا
أَصْبَحْتَ حَاتِمَهَا جُوداً وَأَحْنَفَهَا   حِلْماً وَكَيِّسَهَا عِلْماً وَدَغْفَلَهَا
مَا لِي أَرَى ٱلْحُجْرَةَ ٱلْفَيْحَاءَ مُقْفَلَةً   عَنِّي وَقَدْ طَالَمَا ٱسْتَفْتَحْتُ مُقْفَلَهَا
كَأَنَّهَا جَنَّةُ ٱلْفِرْدَوْسِ مُعْرِضَةً   وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ زَاكٍ فَأَدْخُلَهَا

حدّثني عون بن محمّد قال حدّثني محمود الورّاق قال ١،٧٨

كنت جالساً بطرف الحَيْر حَيْر سرّ من رأى ومعي جماعة لننظر إلى الخيل فمرّ بنا أبو تمّام فجلس إلينا فقال له رجل منّا يا أبا تمّام أيّ رجل أنت لو لم تكن من اليمن؟

قال له أبو تمّام ما أحبّ أنّي بغير الموضع الذي اختاره الله لي فممّن تحبّ أن أكون؟

قال من مُضَر.

فقال أبو تمّام إنّما شرفت مُضَر بالنبيّ صلّى الله عليه ولولا ذلك ما قيسوا بملوكنا وفينا كذا وفينا كذا فخر وذكر أشياء عاب بها نفراً من مُضَر.

قال ونمي الخبر إلى ابن أبي دؤاد وزادوا عليه ٢،٧٨
فقال ما أحبّ أن يدخل إليّ أبو تمّام فليُحجب عنّي.

فقال يعتذر إليه ويمدحه [الخفيف]

سَعِدَتْ غُرْبَةُ ٱلنَّوَى بِسُعَادِ   فَهْيَ طَوْعُ ٱلإِتْهَامِ وَٱلإِنْجَادِ
شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ ٱلرَّ   أْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ ٱلْفُؤَادِ
وَكَذَاكَ ٱلْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ   وَنَعِيمٍ طَلَائِعُ ٱلأَجْسَادِ
طَالَ إِنْكَارِيَ ٱلْبَيَاضَ وَإِنْ عُمِّـ   ـرْتُ شَيْئاً أَنْكَرْتُ لَوْنَ ٱلسَّوَادِ
يَا أَبَا عَبْدِ ٱللهِ أَوْرَيْتَ زَنْداً   فِي يَدِي كَانَ دَائِمَ ٱلإِصْلَادِ
أَنْتَ جُبْتَ ٱلظَّلَامَ عَنْ سُبُلِ ٱلآ   مَالِ إِذْ ضَلَّ كُلُّ هَادٍ وَحَادِي
وَضِيَاءُ ٱلآمَالِ أَفْسَحُ فِي ٱلطَّرْ   فِ وَفِي ٱلْقَلْبِ مِنْ ضِيَاءِ ٱلْبِلَادِ

ثمّ وصف قوماً لزموا ابن أبي دؤاد وأنّه أحظّ به مع ذاك منهم فقال

لَزِمُوا مَرْكَزَ ٱلنَّدَى وَذَرَاهُ   وَعَدَتْنَا عَنْ مِثْلِ ذَاكَ ٱلْعَوَادِي
غَيْرَ أَنَّ ٱلرُّبَى إِلَى سَبَلِ ٱلأَنْـ   ـوَاءِ أَدْنَى وَٱلْحَظُّ حَظُّ ٱلْوِهَادِ
بَعْدَمَا أَصْلَتَ ٱلْوُشَاةُ سُيُوفاً   قَطَعَتْ فِيَّ وَهْيَ غَيْرُ حِدَادُ
مِنْ أَحَادِيثَ حِينَ دَوَّخْتَهَا بِٱلرَّ   أْيِ كَانَتْ ضَعِيفَةَ ٱلإِسْنَادِ
فَنَفَى عَنْكَ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ سَمْعٌ   لَمْ يَكُنْ فُرْصَةً لِغَيْرِ ٱلسَّدَادِ
ضَرَبَ ٱلْحِلْمُ وَٱلْوَقَارُ عَلَيْهِ   دُونَ عُورِ ٱلْكَلَامِ بِٱلأَسْدَادِ
وَحَوَانٍ أَبَتْ عَلَيْهَا ٱلْمَعَالِي   أَنْ تُسَمَّى مَطِيَّةَ ٱلأَحْقَادِ

وقد أفصح عمّا قُرف به واعتذر منه إلى ابن أبي دؤاد فقال وهو عندي من أحسن ٣،٧٨
الاعتذار [الوافر]

سَقَى عَهْدَ ٱلْحِمَى سَبَلُ ٱلْعِهَادِ   وَرَوَّضَ حَاضِرٌ مِنْهُ وَبَادِي

ثمّ قال

وَإِنْ يَكُ مِن بَنِي أُدَدٍ جَنَاحِي   فَإِنَّ أَثِيثَ رِيشِي فِي إِيَادِ
لَهُمْ جَهْلُ ٱلسِّبَاعِ إِذَا ٱلْمَنَايَا   تَمَشَّتْ فِي ٱلْقَنَا وَحُلُومُ عَادِ
لَقَدْ أَنْسَتْ مَسَاوِئَ كُلِّ دَهْرٍ   مَحَاسِنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي دُؤَادِ
مَتَى تَحْلُلْ بِهِ تَحْلُلْ جَنَابًا   رَضِيعًا لِلسَّوَارِي وَٱلْغَوَادِي
فَمَا سَافَرْتُ فِي ٱلْآفَاقِ إِلَّا   وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
مُقِيمُ ٱلظَّنِّ عِنْدَكَ وَٱلْأَمَانِي   وَإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِي فِي ٱلْبِلَادِ

وهذا من قول أبي نواس [الطويل]

وَإِنْ جَرَتِ ٱلْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِدْحَةٍ   لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ ٱلَّذِي نَعْنِي

مَعَادُ ٱلْبَعْثِ مَعْرُوفٌ وَلَكِنْ   نَدَى كَفَّيْكَ فِي ٱلدُّنْيَا مَعَادِي ٤،٧٨
أَتَانِي عَائِرُ ٱلْأَنْبَاءِ تَسْرِي   عَقَارِبُهُ بِدَاهِيَةٍ نَآدِ
بِأَنِّي نِلْتُ مِنْ مُضَرٍ وَخَبَّتْ   إِلَيْكَ شَكِيَّتِي خَبَبَ ٱلْجَوَادِ
لَقَدْ جَازَيْتُ بِٱلْإِحْسَانِ سُوءًا   إِذَنْ وَصَبَغْتُ عُرْفَكَ بِٱلسَّوَادِ
وَسِرْتُ أَسُوقُ عِيرَ ٱللُّؤْمِ حَتَّى   أَنَخْتُ ٱلْكُفْرَ فِي دَارِ ٱلْجِهَادِ
وَلَيْسَتْ رُغْوَتِي مِنْ فَوْقِ مَذْقٍ   وَلَا جَمْرِي كَمِينٌ فِي ٱلرَّمَادِ
تَثَبَّتْ إِنَّ قَوْلًا كَانَ زُورًا   أَتَى ٱلنُّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادِ
إِلَيْكَ بَعَثْتُ أَبْكَارَ ٱلْمَعَانِي   يَلِيهَا سَائِقٌ عَجِلٌ وَحَادِي

يُـذَلِّلُهَا بِـذِكْرِكَ قِـرْنُ فِكْرٍ إِذَا حَـرَنَتْ فَتَسْـلَسُ فِي ٱلْقِيَـادِ
مُـنَزَّهَـةً عَنِ ٱلسَّرَقِ ٱلْمُوَرَّى مُكَرَّمَـةً عَنِ ٱلْمَعْـنَى ٱلْمُعَـادِ
تَنَصَّلَ رَبُّهَـا مِنْ غَيْرِ جُـرْمٍ إِلَيْكَ سِوَى ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْوِدَادِ
وَمَنْ يَأْذَنْ إِلَى ٱلْوَاشِينَ تُسْـلَقْ مَسَامِعُـهُ بِأَلْسِـنَةٍ حِـدَادِ

وطال غضب ابن أبي دؤاد عليه فما رضي عنه حتّى شفع فيه خالد بن يزيد الشيبانيّ ٥،٧٨
فعمل قصيدة يمدح ابن أبي دؤاد ويذكر شفاعة خالد بن يزيد إليه وأغمض مواضع منها في اعتذاره فما فسّرها أحد قطّ وإنّما سنح لي استخراجُها لحفظي للأخبار التي أومأ إليها فأمّا من لا يحفظ الأخبار فإنّها لا تقع له وأوّلها [الكامل]

أَرَأَيْتَ أَيَّ سَوَالِفٍ وَخُـدُودِ عَـنَّتْ لَنَـا بَيْنَ ٱللِّوَى فَـزَرُودِ

فقال فيها [الكامل]

فَٱسْمَعْ مَقَالَةَ زَائِرٍ لَمْ تَشْتَبِهْ أَرَآؤُهُ عِـنْـدَ ٱشْتِبَـاهِ ٱلْبِـيدِ
أَسْرَى طَرِيدًا لِلْحَيَاءِ مِنَ ٱلَّتِي زَعَمُوا وَلَيْسَ لِرَهْبَةٍ بِطَرِيـدِ
كُنْتَ ٱلرَّبِيعَ أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ قَمَرُ ٱلْقَبَائِـلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيـدِ
فَٱلْغَيْثُ مِنْ زُهْـرٍ سَحَابَةُ رَأْفَةٍ وَٱلرُّكْنُ مِنْ شَيْبَانَ طَوْدُ حَدِيدِ

زهر والحذاق قبيلتان من إياد رهط ابن أبي دؤاد

وَغَدًا تَبَيَّنَ مَا بَرَاءَةُ سَاحَتِي لَوْ قَدْ نَفَضْتَ[1] تَهَائِمِي وَنُجُودِي
هَذَا ٱلْوَلِيدُ رَأَى ٱلتَّثَبُّتَ بَعْدَمَا قَالُوا يَزِيـدُ بْنُ ٱلْمُهَلَّبِ مُودِي

١ ا: نفضتُ.

يعني الوليد بن عبد الملك لمّا هرب يزيد بن المُهَلَّب من حبس الحجّاج واستجار بسليمان بن عبد الملك وكتب الحجّاج في قتله إلى الوليد. فلم يزل سليمان بن عبد الملك وعبد العزيز بن الوليد يكلّمانه فيه فقال لا بدّ من أن تُسلموه إليّ ففعل سليمان ذلك ووجّه معه بأيّوب ابنه فقال لا تفارق يدك يده فإن أُريدَ بسوء فادفع عنه حتّى تُقتل دونه.

فَتَزَعْزَعَ ٱلزُّورُ ٱلْمُؤَسَّسُ عِنْدَهُ ... وَبِنَاءُ هٰذَا ٱلْإِفْكِ غَيْرُ مَشِيدِ ٦،٧٨
وَتَمَكَّنَ ٱبْنُ أَبِي سَعِيدٍ مِنْ حِجَى ... مَلِكٍ بِشُكْرِ بَنِي ٱلْمُلُوكِ سَعِيدِ

ابن أبي سَعيد يعني يزيد بن المهلّب لأنّ كنية المهلّب أبو سعيد. مِن حِجى مَلِكٍ يعني سليمان بن عبد الملك. بشُكرِ بَني المُلوك يعني آل المهلّب أنّ سليمان يسعد باقي الدهر بشكرهم له.

مَا خَالِدٌ لِي دُونَ أَيُّوبٍ وَلَا ... عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ وَلَسْتَ دُونَ وَلِيدِ ٧،٧٨

يقول شفيعي خالد بن يزيد وليس هو عندك بدون عبد العزيز بن الوليد وأيّوب بن سليمان عند الوليد هو بك أخصّ مِن ذَيْنِكَ بالوليد ولا أنت دون وليد في الرأي وجميل العفو.

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّ بَابِ مُلِمَّةٍ ... لَمْ يُرْمَ فِيهِ إِلَيْكَ بِٱلْإِقْلِيدِ ٨،٧٨
لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمَامُكَ أَصْبَحَتْ ... تِلْكَ ٱلشُّهُودُ عَلَيَّ وَهْيَ شُهُودِي
مِنْ بَعْدِ مَا ظَنُّوا بِأَنْ سَيَكُونُ لِي ... يَوْمٌ بِبَغْيِهِمِ كَيَوْمِ عَبِيدِ

يعني عَبيد بن الأبرَص لقي النُّعْمان في يوم بؤسه وهو يوم كان يركب فيه فلا يلقاه أحد إلّا قتله وخاصّة أوّل من يلقاه فلقيه عبيد فقتله.

نَزَعُوا بِسَهْمٍ قَطِيعَةٍ يَهْفُو بِهِ ‏ رِيشُ ٱلْعُقُوقِ فَكَانَ غَيْرَ سَدِيدِ ٩،٧٨
وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ‏ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا ٱشْتِعَالُ ٱلنَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ‏ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ ٱلْعُودِ
لَوْلَا ٱلتَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ ‏ لِلْحَاسِدِ ٱلنُّعْمَى عَلَى ٱلْمَحْسُودِ

الحمد لله صلّى الله على محمّد النبيّ وعلى آله وسلّم تسليمًا.

أخبار أبي تمّام مع خالد بن يزيد الشّيبانيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

حدّثنا محمّد بن يزيد النحويّ وكان قد عمل كتباً لطافاً فكنت أنتخب منها وأقرأ عليه فقرأت عليه من كتاب سمّاه كتاب الفِطَن والمِحَن قال ١،٧٩

خرج أبو تمّام إلى خالد بن يزيد بن مَزْيَد والي[١] أرمينية فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وأمره ألّا يقيم إن كان عازماً على الخروج فودّعه ومضت أيّام فركب خالد ليتصيّد فرآه تحت شجرة وقدّامه زُكْرَة فيها نبيذ وغلام بيده طنبور فقال حبيب؟

قال خادمك وعبدك.

قال ما فعل المال؟

فقال [المنسرح]

عَلَّمَنِي جُودُكَ ٱلسَّمَاحَ فَمَا أَبْـ قَيْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكْ
مَا مَرَّ شَهْرٌ حَتَّى سَمَحْتُ بِهِ كَأَنَّ لِي قُدْرَةً كَقُدْرَتِكْ
تُنْفِقُ فِي ٱلْيَوْمِ بِالْهِبَاتِ وَفِي ٱلسَّاعَةِ مَا تَجْتَبِيهِ فِي سَنَتِكْ
فَلَسْتُ أَدْرِي مِنَ ٱيْنَ تُنْفِقُ لَوْ لَا أَنَّ رَبِّي يَمُدُّ فِي هِبَتِكْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فأخذها.

وكان قوله عَلَّمَنِي جُودُكَ ٱلسَّمَاحَ من قول ابن الخيّاط المدينيّ وقد امتدح المهديّ فأمر له بجائزة ففرّقها في دار المهديّ وقال [الطويل] ٢،٧٩

١ ا: الي.

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي ٱلْغِنَى   وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ ٱلْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو ٱلْغِنَى   أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَبَدَّدْتُ[1] مَا عِنْدِي

فبلغ المهديّ خبره فأضعف جائزته وأمر بحملها إلى بيته.

حدّثني عبد الله بن ابراهيم المِسْمَعيّ القَيْسيّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو تَوْبَة الشَّيْبانيّ ١،٨٠
ولم أر أفصح منه قال

حضرت عشيرنا وأميرنا خالد بن يزيد وعنده رجل كثير الفكاهة حسن الحديث فأعجبني جدًّا فقال الأمير أبو يزيد أما سمعت شعره فينا؟ ما رأيت أحسن بيانًا منه ولا أفصح لسانًا [المنسرح]

مَا لِكَثِيبِ ٱلْحِمَى إِلَى عَقِدِهْ   مَا بَالُ جَرْعَائِهِ إِلَى جَرَدِهْ

إلى أن قال

نِعْمَ لِوَاءُ ٱلْخَمِيسِ أُبْتَ بِهِ   يَوْمَ خَمِيسٍ عَالِي ٱلضُّحَى أَفِدِهْ
خِلْتُ عُقَابًا بَيْضَاءَ فِي حُجُرَا   تِ ٱلْمُلْكِ طَارَتْ مِنْهُ وَفِي سُدَدِهْ
فَشَاغَبَ ٱلْجَوَّ وَهْوَ مَسْكَنُهُ   وَقَاتَلَ ٱلرِّيحَ وَهْيَ مِنْ مَدَدِهْ
وَمَرَّ تَهْفُو ذُؤَابَتَاهُ عَلَى   أَسْمَرَ مَتْنٍ يَوْمَ ٱلْوَغَى جَسِدِهْ
تَخْفِقُ أَثْنَاؤُهُ عَلَى مَلِكٍ   يَرَى طِرَادَ ٱلْأَبْطَالِ مِنْ طَرَدِهْ
وَهَلْ يُسَامِيكَ فِي ٱلْعُلَا مَلِكٌ   صَدْرُكَ أَوْلَى بِٱلرُّحْبِ مِنْ بَلَدِهْ
أَخْلَاقُكَ ٱلْغُرُّ دُونَ رَهْطِكَ أَثْـ   ـرَى مِنْهُ فِي رَهْطِهِ وَفِي عَدَدِهْ

فما سمعت مثل قوله وطربت فرحًا أن يكون من ربيعة فقلت ممّن الرجل؟

---

١ ا: (بذّرت) مكتوبة في الهامش.

فقال من طيّ وولائي لهذا الأمير.

فقلت يا أسفي ألّا تكون ربعيّاً أو نزاريّاً. ثمّ أمر له الأمير أبو يزيد بعشرة آلاف درهم بيضاً والله ما كافأه.

وفي هذه القصيدة ذكر شفاعة خالد إلى ابن أبي دؤاد فيما تقدّم ذكره فقال ٢،٨٠

بِٱللهِ أَنْسَى دِفَاعَهُ ٱلزُّورَ مِنْ عَوْرَاءَ ذِي نَيْرَبٍ وَمِنْ فَنَدِهْ
وَلَا تَنَاسَى أَحْيَاءُ ذِي يَمَنٍ مَا كَانَ مِنْ نَصْرِهِ وَمِنْ حَشَدِهْ
آثَرَنِي إِذْ جَعَلْتُهُ سَنَداً كُلُّ ٱمْرِئٍ لَاجِئٌ إِلَى سَنَدِهْ

حدّثني أبو بكر القَنْطَريّ قال حدّثني محمّد بن يزيد المبرّد قال ١،٨١

كان خالد بن يزيد الشيْبانيّ بقيّة الشرف والكرم وأوسع الناس صدراً في إعطاء الشعراء. دفع إلى عمارة بن عقيل ألف دينار لقوله فيه [الكامل]

تَأْبَى خَلَائِقُ خَالِدٍ وَفَعَالُهُ إِلَّا تَجَنُّبَ كُلِّ أَمْرٍ عَائِبِ
وَإِذَا حَضَرْنَا ٱلْبَابَ عِنْدَ غَدَائِهِ أَذِنَ ٱلْغَدَاءُ لَنَا بِرَغْمِ ٱلْحَاجِبِ

قال وأخذ أبو تمّام بمدحه له أضعاف هذا.

وجدت بخطّ ابن أبي سَعْد حدّثني إسماعيل بن مُهاجِر قال حدّثني وكيل للحسن بن سهل يعرف بالبَلْخيّ قال ٢،٨١

استنشد خالد بن يزيد أبا تمّام قصيدته في الأفشين التي ذكر فيها المعتصم وأوّلها [الطويل]

غَدَا ٱلْمُلْكُ مَعْمُورَ ٱلْحَرَى وَٱلْمَنَازِلِ مُنَوَّرَ وَحْفِ ٱلرَّوْضِ عَذْبَ ٱلْمَنَاهِلِ

فلمّا بلغ إلى قوله

تَسَرْبَلَ سِرْبَالاً مِنَ ٱلصَّبْرِ وَٱرْتَدَى   عَلَيْهِ بِعَضْبٍ فِي ٱلْكَرِيهَةِ قَاصِلِ
وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحًى   بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي ٱلدِّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامَتْ مَعَ ٱلرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا   مِنَ ٱلْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

قال له خالد كم أخذت بهذه القصيدة؟
قال ما لم يُروِ الغُلّةَ ولم يسُدّ الخَلّةَ.
قال فإنّي أثيبك عنها.
قال ولم ذاك وأنا أبلغ الأمل بمدحك؟
قال لأنّي آليت لا أسمع شعرًا حسنًا مُدح به رجل فقصّر عن الحقّ فيه إلّا نُبتُ عنه.
قال فإن كان شعرًا قبيحًا؟
قال أنظر فإن كان أخذ شيئًا استرجعتُه منه.

٣،٨١ وقد أحسن أبو تمّام في هذا المعنى وزاد على الناس بقوله إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ. وقد قال مُسلِم قبله [البسيط]

قَدْ عَوَّدَ ٱلطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا   فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلِ

٤،٨١ وأحسن من هذا قول أبي نواس في العبّاس بن عبيد الله [المديد]

وَإِذَا مَجَّ ٱلْقَنَا عَلَقًا   وَتَرَاءَى ٱلْمَوْتُ فِي صُوَرِهْ
رَاحَ فِي ثِنْيَيْ مُفَاضَتِهِ   أَسَدٌ يَدْمَى شَبَا ظُفُرِهْ
تَتَأَيَّا ٱلطَّيْرُ غَدْوَتَهُ[١]   ثِقَةً بِٱلشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ

---

١ ا: عدوته.

ولا أعلم أحداً قال في هذا المعنى أحسن ممّا قاله النابغة وهو أولى بالمعنى وإن كان قد سُبق إليه لأنّه جاء به أحسن. وقد ذكرنا شريطة السرقات قبل هذا. ٥،٨١

قال النابغة [الطويل]

إِذَا مَا غَدَوْا بِٱلْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ   عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ   إِذَا مَا ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

وهو من قول الأفْوَه الأَوْدِيّ في قصيدة أوّلها [الرمل] ٦،٨١

يَا بَنِي هَاجَرَ سَاءَتْ خُطَّةً   أَنْ تَرُومُوا ٱلنِّصْفَ مِنَّا وَمَحَارْ

فقال فيها

فَتَرَى ٱلطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا   رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارْ

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا
محمّد النبيّ وعلى آله وسلّم تسليمًا

أخبار أبي تمّام مع الحسن بن رَجاء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حدّثنا عَوْن بن محمّد الكنديّ قال حدّثني محمّد بن سَعْد أبو عبد الله الرَّقّيّ وكان يكتب للحسن بن رجاء قال ٨٢

قدّم أبو تمّام مدحاً للحسن بن رجاء فرأيت رجلاً علمه وعقله فوق شعره واستنشده الحسن بن رجاء ونحن في مجلس شرب فأنشده [الكامل]

كُفِّي وَغَاكِ[1] فَإِنَّنِي لَكِ قَالِي   لَيْسَتْ هَوَادِي عَزْمَتِي بِتَوَالِي
أَنَا ذُو عَرَفْتِ فَإِنْ عَرَتْكِ جَهَالَةٌ   فَأَنَا ٱلْمُقِيمُ قِيَامَةَ ٱلْعُذَّالِ

فلمّا قال

عَادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مُسْوَدَّةً   حَتَّى تَوَهَّمَ أَنَّهُنَّ لَيَالِي

قال له الحسن والله لا تسودّ عليك بعد اليوم فلمّا قال

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ ٱلْكَرِيمِ مِنَ ٱلْغِنَى   فَٱلسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ ٱلْعَالِي
وَتَنَظَّرِي خَبَبَ ٱلرِّكَابِ يَنُصُّهَا   مُحْيِي ٱلْقَرِيضِ إِلَى مُمِيتِ ٱلْمَالِ

قام الحسن بن رجاء وقال والله لا أتممتَها إلّا وأنا قائم فقام أبو تمّام لقيامه وقال

١ ا: وعاك.

لَمَّا بَلَغْنَا سَاحَةَ ٱلْحَسَنِ ٱنْقَضَى   عَنَّا تَمَلُّكُ دَوْلَةِ ٱلْإِمْحَالِ
بَسَطَ ٱلرَّجَاءَ لَنَا بِرَغْمِ[1] نَوَائِبٍ   كَثُرَتْ بِهِنَّ مَصَارِعُ لِآمَالِ
أَغْلَى عَذَارَى ٱلشِّعْرِ إِنَّ مُهُورَهَا   عِنْدَ ٱلْكِرَامِ إِذَا رَخُصْنَ غَوَالِي
تَرِدُ ٱلظُّنُونُ بِهِ عَلَى تَصْدِيقِهَا   وَيُحَكِّمُ ٱلْآمَالَ فِي ٱلْأَمْوَالِ
أَضْحَى سَمِيُّ أَبِيكَ فِيكَ مُصَدِّقًا   بِأَجَلِّ فَائِدَةٍ وَأَيْمَنِ فَالِ[2]
ورَأَيْتَنِي فَسَأَلْتَ نَفْسَكَ سَيْبَهَا   لِي ثُمَّ جُدْتَ وَمَا ٱنْتَظَرْتَ سُؤَالِي
كَٱلْغَيْمِ لَيْسَ لَهُ أُرِيدَ غِيَاثُهُ   أَوْ لَمْ يُرَدْ بُدٌّ مِنَ ٱلتَّهْطَالِ

فتعانقا وجلسا فقال له الحسن ما أحسن ما جُليتْ هذه العروس فقال والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك أوفى مهورها.

قال محمّد بن سعد[3] فأقام شهرين فأخذ على يدي عشرة آلاف درهم وأخذ غير ذلك ممّا لم أعلم به على بخل كان في الحسن بن رجاء.

حدّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال حدّثني نُصَيْر الروميّ مولى مَبْهوتَة الهاشميّ قال كنت مع الحسن بن رجاء فقدم عليه أبو تمّام فكان مقيماً عنده وكان قد تقدّم إلى حاجبه ألّا يقف ببابه طالب حاجة إلّا أعلمه خبره فدخل حاجبه يوماً يضحك ٨٣

فقال ما شأنك؟

فقال بالباب رجل يستأذن ويزعم أنّه أبو تمّام الطائيّ.

قال فقل له ما حاجتك؟

قال يقول مدحتُ الأمير أعزّه الله وجئت لأنشده.

قال أدخله فدخل فحضرت المائدة فأمره فأكل معه ثمّ قال له من أنت؟

قال أبو تمّام حبيب بن أوس الطائيّ مدحت الأمير أعزّه الله.

قال هات مدحك فأنشده قصيدة حسنة.

---

١ ا: بعرم. ٢ ا: فال. ٣ ا: سعيد.

فقال قد أحسنت وقد أمرت لك بثلاثة آلاف درهم فشكر ودعا وكان الحسن قد تقدّم قبل دخوله إلى الجماعة ألّا يقولوا له شيئاً.

فقال له أبو تمّام نريد أن تجيز لنا هذا البيت وعمل بيتاً فلجلج فقال له ويحك أما تستحيي؟ ادّعيت اسمي واسم أبي وكنيتي ونسبي وأنا أبو تمّام.

فضحك الشيخ وقال لا تعجل عليّ حتّى أحدّث الأمير أعزّه الله قصّتي أنا رجل كانت لي حال فتغيّرت فأشار عليّ صديق لي من أهل الأدب أن أقصد الأمير بمدح فقلت له لا أحسن فقال أنا أعمل لك قصيدة فعمل هذه القصيدة ووهبها لي وقال لعلّك تنال خيراً

فقال له الحسن قد نلتَ ما تريد وقد أضعفت جائزتك.

قال فكان ينادمه ويتولّعون به فيكنونه بأبي تمّام.

٨٤ حدّثني أبو بكر القَنطريّ قال حدّثني محمّد بن يزيد المبرّد قال

ما سمعت الحسن بن رجاء ذكر قطّ أبا تمّام إلّا قال ذاك أبو التمام وما رأيت أعلم بكلّ شيء منه.

٨٥ حدّثني عليّ بن إسماعيل النَّوبَختيّ قال

قال لي البحتريّ والله يا أبا الحسن لو رأيتَ أبا تمّام الطائيّ لرأيت أكمل الناس عقلاً وأدباً وعلمت أنّ أقلّ شيء فيه شعره.

١،٨٦ سمعت الحسن بن الحسن بن رجاء يحدّث أبا سعيد الحسن بن الحسين الأَزْديّ أنّ أباه رأى أبا تمّام يوماً يصلّي صلاة خفيفة.

فقال له أتمّ يا أبا تمّام. فلمّا انصرف من صلاته قال له قِصَر المال وطول الأمل ونقصان الجدّة وزيادة الهمّة يمنع من إتمام الصلاة لا سيمّا ونحن سَفْر.

فكان أبي يقول وددت أنّه يعاني فروضه كما يعاني شعره وأنّى مُغرَم ما يثقل غرمه؟

٢،٨٦ وقد ادّعى قوم عليه الكفر بل حقّقوه وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره وتقبيح حسنه وما ظننت أنّ كفراً ينقص من شعر ولا أنّ إيماناً يزيد فيه. وكيف يحقّق هذا على مثله حتّى يسمع الناسُ لعنه له من لم يشاهده ولم يسمع منه ولا سمع قول من يوثق به فيه؟ وهذا خلاف ما أمر الله عزّ وجلّ ورسوله عليه السلام به ومخالف لما عليه جملة المسلمين. لأنّ الناس على ظاهرهم حتّى يأتوا بما يوجب الكفر عليهم بفعل أو قول فيُرى ذلك أو يُسمع منهم أو يقوم به بيّنة عليهم.

٣،٨٦ واحتجّوا برواية أحمد بن أبي طاهر وقد حدّثني[١] بها عنه جماعة أنّه قال

دخلت على أبي تمّام وهو يعمل شعراً وبين يديه شعر أبي نواس ومسلم فقلت ما هذا؟ قال اللاّت والعُزّى وأنا أعبدهما من دون الله مُذ ثلاثون سنة.

٤،٨٦ وهذا إذا كان حقّاً فهو قبيح الظاهر رديء اللفظ والمعنى لأنّه كلام ماجنٍ مشعوفٍ بالشعر. والمعنى أنّهما قد شغلاني عن عبادة الله عزّ وجلّ وإلّا فمن المحال أن يكون عبَد اثنين لعلّه عند نفسه أكبر[٢] منهما أو مثلهما أو قريب منهما. على أنّه ما ينبغي لجادٍّ ولا مازحٍ أن يلفظ بلسانه ولا يعتقد بقلبه ما يغضب الله عزّ وجلّ ويتاب من مثله.

فكيف يصحّ الكفر عند هؤلاء على رجل شعره كلّه يشهد بضدّ ما اتّهموه به حتّى يلعنوه في المجالس؟ ولو كان على حال الديانة لَأُغروا من الشعراء بلعن من هو صحيح الكفر واضح الأمر ممّن قتله الخلفاء صلوات الله عليهم بإقرار وبيّنة وما نقصتْ بذلك رتبُ أشعارهم ولا ذهبت جودتها وإنّما نقصوا هم في أنفسهم وشقوا بكفرهم.

٥،٨٦ وكذلك ما ضرّ هؤلاء الأربعة الذين أجمع العلماء على أنّهم أشعر الناس امرأ القيس والنابغةَ الذُّبيانيّ وزهيراً والأعشى كفرُهم في شعرهم وإنّما ضرّهم في أنفسهم. ولا رأينا جريراً والفرزدق يتقدّمان الأخطَل عند من يقدّمهما عليه بإيمانهما وكفره

١ (حدّثني) غير واضحة في ا. ٢ ا: أكثر.

وإنّما تقدّمُهما بالشعر. وقد قدّم الأخطل عليهما خَلْقٌ من العلماء وهؤلاء الثلاثة طبقة واحدة وللناس في تقديمهم آراء.

حدّثني القاسم بن إسماعيل قال حدّثنا أبو محمّد التوّجيّ عن خَلَف الأحمر قال ٦،٨٦

سئل حمّاد الراوية عن جرير والفرزدق والأخطل أيّهم أشعر؟ فقال الأخطل. ما تقول في رجل قد حبّب إليّ شعرُه النصرانيّة؟

وهذا أيضاً مزح من حمّاد وفرط شعف بشعر الأخطل. ولو تأوّل الناس عليه كما تأوّلوا على أبي تمّام لكان ما قال قبيحاً. ٧،٨٦

وما أحسب شعر أبي تمّام مع جودته وإجماع الناس عليه ينقص بطعن طاعن عليه في زماننا[1] هذا لأنّي رأيت جماعة من العلماء المتقدّمين ممّن قدّمتُ عُذرهم في قلّة المعرفة بالشعر ونقده وتمييزه وأريتُ أنّ هذا ليس من صناعتهم وقد طعنوا على أبي تمّام في زمانهم وزمانه ووضعوا عند أنفسهم منه فكانوا عند الناس بمنزلة من يهذي وهو يأخذ بما طعنوا عليه الرغائب من علماء الملوك ورؤساء الكتّاب الذين هم أعلم الناس بالكلام منثوره ومنظومه حتّى كان هو يعطي الشعراء في زمانه ويشفع لهم وكلّ محسن فهو غلام له وتابع أثره. ١،٨٧

ومن الإفراط في عصبيّتهم عليه ما حدّثني به أبو العبّاس عبد الله بن المعتزّ قال ٢،٨٧

حدّثت إبراهيم بن المدبّر ورأيته يستجيد شعر أبي تمّام ولا يوفّيه حقّه بحديث حدّثنيه أبو عمرو بن أبي الحسن الطوسيّ وجعلته مثلاً له قال

وجّه بي أبي إلى ابن الأعرابيّ لأقرأ عليه أشعاراً وكنت معجباً بشعر أبي تمّام فقرأت عليه من أشعار هُذَيل ثمّ قرأت أرجوزة أبي تمّام على أنّها لبعض شعراء هذيل [الرجز]

وَعَـاذِلٍ عَـذَلْتُهُ فِي عَـذْلِهِ فَظَنَّ أَنِّي جَـاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ

[1] (زماننا) غير واضحة في ا.

حتّى أتممتها فقال اكتب لي هذه فكتبتها له. ثمّ قلت أحسنة هي؟
قال ما سمعت بأحسن منها.
قلت إنّها لأبي تمّام
فقال خَرِّقْ خَرِّقْ.

وكان عبد الله قد عمل بعد هذا الخبر كلاماً يُتبِعه به فكتبتُه عنه قال عبد الله ٣،٨٧

وهذا الفعل من العلماء مُفرط القبح لأنّه يجب ألّا يُدفَع إحسان محسن عدوًّا كان أو صديقاً وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع.

فإنّه يروى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه أنّه قال ٤،٨٧

الحكمة ضالّة المؤمن فخُذْ ضالّتك ولو من أهل الشِّرك.

ويروى عن بُزُرْجِمِهْرَ أنّه قال ٥،٨٧

أخذت من كلّ شيء أحسن ما فيه حتّى انتهيت إلى الكلب والهرّة والخنزير والغراب.

قيل وما أخذت من الكلب؟
قال إلفه لأهله وذَبّه عن حريمه.
قيل فمن الغراب؟
قال شدّة حذره.
قيل فمن الخنزير؟
قال بكوره في إرادته.
قيل فمن الهرّة؟
قال حسن رفقها عند المسألة ولين صياحها.

٦،٨٧ قال أبو العبّاس ومن عاب مثل هذه الأشعار التي ترتاح لها القلوب وتجذل بها النفوس وتصغي إليها الأسماع وتُشحذ بها الأذهان فإنّما غضّ من نفسه وطعن على معرفته واختياره.

٧،٨٧ وقد روي عن عبد الله بن العبّاس رحمه الله أنّه قال الهوى إله معبود واحتجّ بقول الله جلّ وعزّ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَاهُ﴾ . انقضى كلام عبد الله.

١،٨٨ حدّثني عليّ بن محمّد الأَسَديّ قال حدّثني أحمد بن يحيى ثعلب قال

وقف ابن الأعرابيّ على المَدائِنيّ فقال له إلى أين يا أبا عبد الله؟

قال إلى الذي هو كما قال الشاعر [المنسرح]

تَحْمِلُ أَشْبَاحَنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

٢،٨٨ قال أبو بكر فتمثّل بشعر أبي تمّام وهو لا يدري ولعلّه لو درى ما تمثّل به. وكذلك فعل في النوادر جاء فيها بكثير من أشعار المحدثين ولعلّه لو علم بذلك ما فعله.

١،٨٩ وقد رأينا الأعداء يصدقون في أعدائهم لا لنيّة في تقديمهم ولا لمحبّة في رفعهم وتقريظهم ولا لديانةٍ يرعونها فيهم ولكن يفعلونه حياطةً لأنفسهم وتنبيهاً على فضلهم وعلمهم.

٢،٨٩ فمن ذلك قول عمارة بن عقيل وقد أُنشِد قصيدةً للفرزدق يهجو بها جريرًا أكل والله أبي أكل والله أبي.

٣،٨٩ ومن ذلك قول الفرزدق وقد سمع قول جرير حدّثني به الفضل بن الحُباب قال حدّثني محمّد بن سلاّم عن مَسلمة بن مُحارِب بن سَلْم بن زياد قال

كان الفرزدق عند أبي في مشربة له فدخل رجل فقال وردت اليوم المِربَد قصيدة لجرير تناشدها الناس فامتُقِع لون الفرزدق فقال له ليست فيك يا أبا فِراس.

قال ففيمن؟

قال في ابن لَجَأ التَّيميّ.

قال أحفظت منها شيئًا؟

قال نعم علِقتُ منها بيتين.

قال ما هما؟ فأنشده [الطويل]

لَئِنْ عَمِرَتْ تَيْمٌ زَمَانًا بِغِرَّةٍ   لَقَدْ حُدِيَتْ تَيْمٌ حُدَاءً[1] عَصَبْصَبَا

فَلَا يَضْغَمَنَّ ٱللَّيْثُ عُكْلًا بِغِرَّةٍ   وَعُكْلٌ يَشَمُّونَ ٱلْفَرِيسَ ٱلْمُنَيَّبَا

وفسّر لي أبو خليفة وأبو ذَكْوان جميعاً هذا المعنى عن ابن سلّام قال ٤،٨٩

الليث إذا ضغم الشاة ثمّ طُرد عنها جاءت الغنم تشمّ ذلك الموضع فيغترّها فيخطف الشاةَ. وعُكْلٌ إخوة التَّيم وعَدِيٍّ وثَوْرٍ وهم بنو عبد مَناة بن أُدّ. يقول فلا تنصروهم فأهجُوَكم[2] وأَدَعَهُم. قال ابن سلّام ونحوه قول جرير [الوافر]

وَقُلْتُ نَصَاحَةً لِبَنِي عَدِيٍّ   ثِيَابَكُمُ وَنَضْحَ دَمِ ٱلْقَتِيلِ

فقال الفرزدق قاتله الله إذا أخذ هذا المأخذ فما يقام له يعني الرويّ على الباء[3]. ٥،٨٩

وقال ابن سلّام حدّثني رجل من بني حنيفة قال قال الفرزدق ٦،٨٩

وجدت الباء أمّ جرير وأباه أي يجيد إذا ركبها.

ومن ذلك قول الراعي في جرير وقد هجاه. حدّثني القاضي أبو خليفة الفضل بن الحُباب قال حدّثني محمّد بن سلّام قال حدّثني أبو البَيْداء الرياحيّ قال ٧،٨٩

مرّ راكب يتغنّى [الطويل]

١ ا: حُذيت تيم حُذاءً. ٢ (فأهجُوَكم) غير واضحة في ا. ٣ ا: الياء.

وَعَاوٍ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيْتُه   بِقَافِيَةٍ أَنْفَاذُهَا[١] تَقْطُرُ الدَّمَا
خَرُوجٍ بِأَفْوَاهِ ٱلرِّجَالِ كَأَنَّهَا   قَرَى هُنْدُوَانِيٍّ إِذَا هُزَّ صَمَّمَا

فقال الراعي من بالبيتين؟
قال جرير.
قال قاتله الله لو اجتمعت الجنّ والإنس ما أغنوا فيه شيئًا.

قال ابن سلاّم قال الراعي أُلام أن يغلبني مثل هذا؟

حدّثنا محمّد بن الفضل قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمّد بن بشّار قال ٨،٨٩

قال بشّار لروايته أنشدني من قول حمّاد فأنشده [الطويل]

نُسِبْتَ إِلَى بُرْدٍ وَأَنْتَ لِغَيْرِهِ   فَهَبْكَ لِبُرْدٍ نِكْتُ أُمَّكَ مَنْ بُرْدُ

فقال هاهنا أحد يسمع كلامي؟ قال لا. قال أحسن ابن الزانية.

وهذا يكثر جدًّا ولكنّني أتيت بشيء منه يدلّ على جميعه. ومثل هذا من نقص ذوي ٩،٨٩
الفضل والمتقدّمين في الصنائع من جميع الناس قبيح وهو من العلماء أقبح. نعوذ بالله من اتّباع الهوى ونصر الخطأ والكلام في العلم بالمحَل واللجاج والعصبيّة.

حدّثني عَوْن بن محمّد قال ٩٠

شهدت دعبلاً عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمّام فاعترضه عِصابة الجَرْجَرائيّ فقال يا أبا عليّ اسمع منّي ممّا مدح به أبا سعيد محمّد بن يوسف فإن رضيته فذاك وأعوذ بالله فيك من ألّا ترضاه ثمّ أنشده [الطويل]

أَمَا إِنَّهُ لَوْلَا ٱلْخَلِيطُ ٱلْمُوَدِّعُ

١ ا: أنقادها.

فلمّا بلغ إلى قوله

لَقَدْ آسفَ[1] ٱلْأَعْدَاءَ مَجْدُ ٱبْنِ يُوسُفٍ ... وَذُو ٱلنَّقْصِ فِي ٱلدُّنْيَا بِذِي ٱلْفَضْلِ مُولَعُ
هُوَ ٱلسَّيْلُ إِنْ وَاجَهْتَهُ ٱنْقَدْتَ طَوْعَهُ ... وَتَقْتَادُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ فَيَتْبَعُ
وَلَمْ أَرَ نَفْعًا عِنْدَ مَنْ لَيْسَ ضَائِرًا ... وَلَمْ أَرَ ضَرًّا عِنْدَ مَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ
مَعَادُ ٱلْوَرَى بَعْدَ ٱلْمَمَاتِ وَسَيْبُهُ ... مَعَادٌ لَنَا قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ وَمَرْجِعُ

فقال دعبل لم ندفع فضل هذا الرجل ولكنّكم ترفعونه فوق قدره وتقدّمونه وتنسبون إليه ما قد سرقه.

فقال له عصابة تقدّمه في إحسانه صيّرك له عائباً وعليه عاتباً.

الحمد لله وصلّى الله على سيّدنا محمّد
النبيّ وعلى آله وسلّم تسليمًا.

[1] ا: اسف.

أخبار أبي تمّام مع الحسن بن وَهْب ومحمّد بن عبد الملك الزيّات

حدّثني عبد الرحمن بن أحمد قال ١،٩١

وجدتُ بخطّ محمّد بن يزيد المبرّد أنّ أبا تمّام كتب إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبيذًا [الوافر]

جُعِلْتُ فِدَاكَ عَبْدُ ٱللهِ عِنْدِي   بِعَقْبِ ٱلْهَجْرِ مِنْهُ وَٱلْبِعَادِ
لَهُ لُمَةٌ مِنَ ٱلْكُتَّابِ بِيضٌ   قَضَوْا حَقَّ الزِّيَارَةِ وَٱلْوِدَادِ
وَأَحْسَبُ يَوْمَهُمْ إِنْ لَمْ تَجُدْهُمْ   مُصَادِفَ دَعْوَةٍ مِنْهُمْ جَمَادِ
فَكَمْ نَوْءٍ مِنَ ٱلصَّهْبَاءِ سَارٍ   وَآخَرَ مِنْكَ بِالْمَعْرُوفِ غَادِ
فَهٰذَا يَسْتَهِلُّ عَلَى غَلِيلِي   وَهٰذَا يَسْتَهِلُّ عَلَى تِلَادِي
دَعَوْتُهُمُ عَلَيْكَ وَكُنْتَ مِمَّنْ   نُعَيِّنُهُ عَلَى ٱلْعُقَدِ ٱلْجِيَادِ

فوجّه إليه بمائة دَنّ ومائة دينار وقال لكلّ دَنٍّ دينار.

حدّثني عبد الله بن المعتزّ قال ٢،٩١

صار إليّ محمّد بن يزيد النحويّ منصرفًا من عند القاضي إسماعيل وكان يجيئني كثيرًا إذا انصرف من عنده فأعلمني أنّ الحارثيّ الذي يقول فيه ابن الجهم[١] [الكامل]

لَمْ يَطْلُعَا إِلَّا لِآبِدَةٍ   ٱلْحَارِثِيُّ وَكَوْكَبُ ٱلذَّنَبِ[٢]

١ ا: الذي يقول فيه ابن. ٢ ا: الدنب.

دخل إلى القاضي إسماعيل فأنشده شعرًا لأبي تمّام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبيذًا لم ير[1] أحسن منه في معناه وأنّه كره أن يستعيده أو يقول له اكتُبْه لحال القاضي.

فقلت له أتحفظ منه شيئًا؟

قال نعم أوّله

جُعِلْتُ فِدَاكَ عَبْدَ ٱللهِ[2] عِنْدِي

قال فأنشدته الأبيات وكنت أحفظها فكتبها بيده.

وهي هذه الأبيات التي ذكرناها.

حدّثنا أحمد بن إسماعيل قال حدّثني عبيد الله بن عبد الله قال ٣،٩١

استهدى أبو العيناء مطبوخًا فوجّهت إليه بشيء منه فاستقلّه وكتب إليّ أقول للأمير ما قاله أبو تمّام لمحمّد بن عليّ بن عيسى القُمّيّ وقد استهداه شرابًا فأبطأ رسوله ثمّ وجّه إليه بشراب أسود قليل فكتب إليه [الخفيف]

قَدْ عَرَفْنَا دَلَائِلَ ٱلْمَنْعِ أَوْ مَا ... يُشْبِهُ ٱلْمَنْعَ بِٱحْتِبَاسِ ٱلرَّسُولِ
وَٱفْتَضَحْنَا عِنْدَ ٱلزَّبِيبِ بِمَا صَحَّ ... لَدَيْهِ مِنْ قُبْحِ وَجْهِ ٱلشَّمُولِ
وَهْيَ نَزْرٌ لَوْ أَنَّهَا مِنْ دُمُوعِ ٱلصَّـ ... ـبِّ لَمْ تَشْفِ مِنْهُ حَرَّ ٱلْغَلِيلِ
قَدْ كَتَبْنَا لَكَ ٱلْأَمَانَ فَمَا تُسْـ ... ـأَلُ مِنْهَا عُمْرَ ٱلزَّمَانِ ٱلطَّوِيلِ
كَمْ مُغَطًّى قَدِ ٱخْتَبَرْنَا نَدَاهُ ... وَعَرَفْنَا كَثِيرَهُ بِٱلْقَلِيلِ

قال فأرضيت أبا العيناء بعد ذلك.

ومثل قوله وَهْيَ نَزْرٌ لَوْ أَنَّهَا مِنْ دُمُوعِ ٱلصَّبِّ ما حدّثنيه أحمد بن إبراهيم الغَنَوِيّ قال ٤،٩١

١ (ير) زيادة يقتضيها السياق. ٢ (عبد الله) ساقط في ا.

طلب أبو مالك الرَّسْعَنيّ وخاله ذو نُواس البَجَليّ الشاعر من صديق له نبيذًا فوجّه إليه بأرطال يسيرة فكتب إليه [الكامل]

لَوْ كَانَ مَا أَهْدَيْتَهُ إِثْمِدًا ... لَمْ يَكْفِ إِلَّا مُقْلَةً وَاحِدَهْ
بَرَّدْتَ وَٱللهِ عَلَى أَنَّهَا ... إِلَيْكَ مِنَّا حَاجَةٌ بَارِدَهْ

٥،٩١ والبحتريّ يقول في نحو هذا لأبي أيّوب ابن أخت أبي الوزير[١] [طويل]

لَكَ ٱلْخَيْرُ مَا مِقْدَارُ عَفْوِي وَمَا جُهْدِي ... وَآلُ حُمَيْدٍ عِنْدَ آخِرِهِمْ عِنْدِي
تَتَابَعَتِ ٱلطَّاءَانِ[٢] طُوسٌ وَطَيِّئٌ ... فَقُلْ فِي خُرَاسَانٍ وَإِنْ شِئْتَ فِي نَجْدِ
أَتَوْنِي بِلَا وَعْدٍ وَإِنْ لَمْ تَجُدْ لَهُمْ ... بِرَاحِهِمِ رَاحُوا جَمِيعًا عَلَى وَعْدِ
وَلَمْ أَرَ خِلًّا كَٱلنَّبِيذِ إِذَا جَفَا ... جَفَاكَ لَهُ خُلَّانُهُ وَذَوُو ٱلْوُدِّ
وَمِمَّا دَهَى ٱلْفِتْيَانَ أَنَّهُمُ غَدَوْا ... بِآخِرِ[٣] شَعْبَانٍ عَلَى أَوَّلِ ٱلْوِرْدِ
غَدًا يَحْرُمُ ٱلْمَاءُ ٱلْقَرَاحُ وَتَنْتَوِي ... وُجُوهٌ مِنَ ٱللَّذَّاتِ مُشْجِيَةُ ٱلْفَقْدِ
أَعِنَّا عَلَى يَوْمٍ يُشَيِّعُ لَهْوَنَا ... إِلَى لَيْلَةٍ فِيهَا لَهُ أَجَلٌ مُرْدِي

١،٩٢ حدّثني محمّد بن موسى بن حمّاد قال

وجّه الحسن بن وهب إلى أبي تمّام وهو بالموصل خلعة فيها خزّ ووشي فامتدحه ووصف الخلعة في قصيدة أوّلها [المنسرح]

أَبُو عَلِيٍّ وَسْمِيُّ مُنْتَجِعِهْ ... فَٱحْلُلْ بِأَعْلَى وَادِيهِ أَوْ جَرَعِهْ

ثمّ وصف الخلعة فقال

١ ا: ابن أخت الوزير. ٢ ا: الطاءات. ٣ ا: بأخر.

وَقَدْ أَتَانِي ٱلرَّسُولُ بِٱلْمَلْبَسِ ٱلْـ ـفَخْمِ لِصَيْفِ ٱمْرِىءٍ وَمُرْتَبَعِهْ
لَوْ أَنَّهَا جُلِّلَتْ أُوَيْسًا لَقَدْ أَسْرَعَتِ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي وَرَعِهْ
رَائِقُ خَزٍّ أُجِيدَ سَائِرُهُ سَكْبٍ تَدِينُ ٱلصَّبَا لِمُدَّرِعِهْ
وَسِرُّ وَشْيٍ كَأَنَّ شِعْرَىَ أَحْـ ـيَانًا نَسِيبُ ٱلْعُيُونِ مِنْ بِدَعِهْ
تَرَكْتَنِي سَامِيَ ٱلْجُفُونِ عَلَى أَزْلَمِ دَهْرٍ بِحُسْنِهَا جَذَعِهْ

يريد على دهر قديم وهو الأَزْلَم لطوله وقدمه وجذعه لأنّ يومه جديد قال لَقيط الإيادي [البسيط]

يَا قَوْمُ بَيْضَتَكُمْ لا تُفْجَعُنَّ بِهَا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهَا ٱلْأَزْلَمَ ٱلْجَذَعَا

وقد وصف خلعة أخرى أحسن من هذا الوصف وجوّده. حدّثني عَوْن بن محمّد قال ٢،٩٢
حدّثني الحُسين بن وَداع كاتب الحسن بن رجاء قال

حضرت محمّد بن الهَيْثَم بالجبَل وأبو تمّام ينشده [الكامل]

جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عِهَادُ سَحَابَةٍ مَا عَهْدُهَا عِنْدَ ٱلدِّيَارِ ذَمِيمُ

قال فلمّا فرغ منها أمر له بألف دينار وخلع عليه خلعة حسنة وأقمنا ذلك اليوم عنده ومعنا أبو تمّام. ثمّ انصرف وكتب إليه في غد ذلك اليوم [الخفيف]

قَدْ كَسَانَا مِنْ كِسْوَةِ ٱلصَّيْفِ خِرْقٌ مُكْتَسٍ مِنْ مَكَارِمٍ وَمَسَاعِ
حُلَّةً سَابِرِيَّةً وَرِدَاءً كَسَحَا ٱلْقَيْضِ أَوْ رِدَاءِ ٱلشُّجَاعِ
كَٱلسَّرَابِ ٱلرَّقْرَاقِ فِي ٱلْحُسْنِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي ٱلْخِدَاعِ
قَصَبِيًّا تَسْتَرْجِفُ ٱلرِّيحُ مَتْنَيْـ ـهِ بِأَمْرٍ مِنَ ٱلْغُيُوبِ مُطَاعِ
رَجَفَانًا كَأَنَّهُ ٱلدَّهْرَ مِنْهُ كَبِدُ ٱلصَّبِّ أَوْ حَشَا ٱلْمُرْتَاعِ
لَازِمًا مَا يَلِيهِ تَحْسَبُهُ جُزْ ءًا مِنَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ وَٱلْأَضْلَاعِ

يَطْرُدُ ٱلْيَوْمَ ذَا ٱلْهَجِيرِ وَلَوْ شُبِّـ ـهَ فِي حَرِّهِ بِيَوْمِ ٱلْوَدَاعِ
خِلْعَةٌ مِنْ أَغَرَّ أَرْوَعَ رَحْبِ ٱلصَّـ ـدْرِ رَحْبِ ٱلْفُؤَادِ رَحْبِ ٱلذِّرَاعِ
سَوْفَ أَكْسُوكَ مَا يُعَفِّي عَلَيْهَا مِنْ ثَنَاءٍ كَٱلْبُرْدِ بُرْدِ ٱلصَّنَاعِ
حُسْنُ هَاتِيكَ فِي ٱلْعُيُونِ وَهٰذَا حُسْنُهُ فِي ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَسْمَاعِ

فقال محمّد بن الهيثم من لا يعطي على هذا ملكه؟ والله لا بقي في داري ثوب إلّا دفعته إلى أبي تمّام فأمر له بكلّ ثوب يملكه في ذلك الوقت.

ونحو قول أبي تمّام في البيت الأخير قول عبد الصمد [الكامل] ٣،٩٢

بِأَيْمَنِ طَائِرٍ وَأَسَرِّ فَالٍ وَأَعْلَى رُتْبَةٍ وَأَجَلِّ حَالِ
شَرِبْتَ ٱلدُّهْنَ ثُمَّ خَرَجْتَ مِنْهُ خُرُوجَ[١] ٱلْمَشْرَفِيِّ مِنَ ٱلصِّقَالِ
تَكَشَّفَ عَنْكَ مَا عَايَنْتَ مِنْهُ كَمَا ٱنْكَشَفَ ٱلْغَمَامُ عَنِ ٱلْهِلَالِ
لِطُولِ سَلَامَةٍ وَلِطُولِ عُمْرٍ بَلَغْتَ بِكَ ٱلطِّوَالَ مِنَ ٱللَّيَالِي
وَقَدْ أَهْدَيْتُ رَيْحَانًا طَرِيفًا بِهِ حَاجَيْتُ مُسْتَمِعِي مَقَالِي
وَمَا هُوَ غَيْرُ حَاءٍ بَعْدَ يَاءٍ تَخَيَّرَ بَعْدَ مِيمٍ قَبْلَ دَالِ
وَرَيْحَانُ ٱلنَّبَاتِ يَعِيشُ يَوْمًا وَلَيْسَ يَمُوتُ رَيْحَانُ ٱلْمَقَالِ
وَلَمْ تَكُ مُؤْثِرًا رَيْحَانَ شَمٍّ عَلَى رَيْحَانِ أَسْمَاعِ ٱلرِّجَالِ

ولي أبيات من قصيدة مدحت بها صديقاً لي وصفت فيها الثياب وما علمت أنّ أحداً وصفها حتّى قرأت شعر أبي تمّام وقد أحسن فيه غاية الإحسان. قلت [الكامل] ٤،٩٢

أَيْنَ ٱلدَّبِيقِيُّ ٱلَّذِي مَدَّتْ بِهِ أَيْدِي ٱلنِّسَاءِ فَجَاءَ طَوْعَ ٱلْمِغْزَلِ
غَمَضَتْ حَوَاشِيهِ لِدِقَّةِ نَسْجِهِ مِنْ غَيْرِ تَضْلِيعٍ وَغَيْرِ تَسَلْسُلِ
وَٱلثَّوْبُ[٢] قَدْ يَحْكِي بِدِقَّةِ نَسْجِهِ نَسْجَ ٱلْعَنَاكِبِ بِٱلْمَكَانِ ٱلْمُهْمَلِ

---
١ ا: حرجتَ منه حروج. ٢ ا: والشرب.

شُغِلَتْ بِهِ هِمَمُ ٱلْمُلُوكِ وَأُمْهِلَتْ صُنَّاعُهُ فِيهِ وَلَمْ تُسْتَعْجَلِ
فَغَدَا عَلَيْكَ مُهَلْهَلاً يَخْفَى عَلَى رَاحِ ٱلتِّجَارِ وَلَيْسَ بِٱلْمُسْتَرْسِلِ
عِدْلُ ٱلْهَوَاءِ إِذَا صَفَتْ أَقْطَارُهُ وَأَرَقُّهُ نَسْجُ ٱلْخَرِيفِ ٱلْمُقْبِلِ
أَوْ مِثْلُ نَسْجِ ٱلشَّمْسِ تَحْسِرُ دُونَهُ وَتَكِلُّ عَيْنُ ٱلنَّاظِرِ ٱلْمُتَأَمِّلِ
فَكَأَنَّهُ عَرَضٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَا جِسْمٍ لَهُ مُتَقَبِّلِ[1]

٥،٩٢ ولا أعرف شيئاً قبل هذا في وصف ثوب ولا غَزْل إلّا ما حدّثني به محمّد بن يزيد النحويّ قال

أنشدني عمرو بن حَفْص المِنْقَريّ لأبي حَنَش النُّمَيْريّ في رجل ولي الإمارة بعد أن كان حائكاً [الكامل]

لِلّٰهِ سَيْفُكَ مَا أَكَلَّ وُقُوعَهُ أَيَّامَ أَنْتَ بِضَرْبِهِ لَا تَقْتُلُ
إِلَّا خُيُوطاً أُبْرِمَتْ طَاقَاتُهَا تُثْنَى بِأَطْرَافِ ٱلْبَنَانِ وَتُفْتَلُ
بِيضاً تُبَاهِي ٱلْعَنْكَبُوتَ بِنَسْجِهَا كَٱلرَّقِّ رَقَّقَ غَزْلَهُنَّ ٱلْمِغْزَلُ
مَا زِلْتَ تَضْرِبُ فِي ٱلْغُزُولِ بِحَدِّهِ حَتَّى حَدِبْتَ وَزَالَ مِنْكَ ٱلْمَفْصِلُ
أَيَّامَ قِدْرُكَ لَا تَزَالُ نَضِيجَةً مِنْ أَرْدَهَاجٍ لَيْسَ فِيهِ فُلْفُلُ

١،٩٣ حدّثني محمّد بن موسى قال

كان أبو تمّام يعشق غلاماً خَزَرِيّاً كان للحسن بن وهب وكان الحسن يتعشّق غلاماً كان لأبي تمّام روميّاً فرآه أبو تمّام يوماً يعبث بغلامه فقال والله لئن أعنقتَ إلى الروم لتركضنّ إلى الخزر.

فقال ابن وهب لو شئتَ لحكّمتنا واحتكمتُ.

فقال له ابو تمّام أنا أشبّهك بداود وأشبّهني بخصمه.

---

[1] ا: متقبَّل.

فقال الحسن لو كان هذا منظوماً خفناه فأمّا منثوراً فهو عارض لا حقيقة له فقال أبو تمّام [البسيط]

أَبَا عَلِيٍّ لِصَرْفِ ٱلدَّهْرِ وَٱلْغِيَرِ   وَلِلْحَوَادِثِ وَٱلْأَيَّامِ وَٱلْعِبَرِ
أَذْكَرْتَنِي أَمْرَ دَاوُدٍ وَكُنْتُ فَتًى   مُصَرَّفَ ٱلْقَلْبِ فِي ٱلْأَهْوَاءِ وَٱلذِّكَرِ
أَعِنْدَكَ ٱلشَّمْسُ لَمْ يَحْظَ ٱلْمَغِيبُ بِهَا   وَأَنْتَ مُضْطَرِبُ ٱلْأَحْشَاءِ بِٱلْقَمَرِ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَتْرُكِ ٱلسَّيْرَ ٱلْحَثِيثَ إِلَى   جَآذِرِ ٱلرُّومِ أَعْنَقْنَا إِلَى ٱلْخَزَرِ
إِنَّ ٱلْقَطُوبَ[١] لَهُ مِنِّي مَقَرُّ هَوًى   يَحُلُّ مِنِّي مَحَلَّ ٱلسَّمْعِ وَٱلْبَصَرِ
وَرُبَّ أَمْنَعَ مِنْهُ صَاحِبًا وَحِمًى   أَمْسَى وَتِكَّتُهُ مِنِّي عَلَى خَطَرِ
جَرَّدْتُ فِيهِ جُنُودَ ٱلْعَزْمِ وَٱنْكَشَفَتْ   عَنْهُ غَيَابَتُهَا عَنْ نَيْكَةٍ هَدَرِ
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ كُلُّ جَارِحَةٍ   مَا فِيكَ مِنْ طَمَحَانِ ٱلْأَيْرِ وَٱلنَّظَرِ
أَنْتَ ٱلْمُقِيمُ فَمَا تَعْدُو رَوَاحِلُهُ   وَأَيْرُهُ أَبَدًا مِنْهُ عَلَى سَفَرِ

حدّثني أحمد بن إسماعيل قال حدّثني محمّد بن إسحاق قال ٢،٩٣

قلت لأبي تمّام غلامك أطوع للحسن من غلام الحسن لك.

قال لأنّ غلامي يجد عنده ما لا يجد غلامه عندي أنا أعطي ذاك قيلاً وقالاً وهو يعطي غلامي مالاً.

وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا حدّثني أبو جعفر المهلّبيّ قال حدّثني ابن أبي فَنَن قال ٣،٩٣

أنشد أبو تمّام محمّد بن البَعيث مدحاً له وعند محمّد غلام خزريّ ومع أبي تمّام غلام روميّ فجعل محمّد يلمحه فقال أبو تمّام هذا الشعر الرائيّ.

والأوّل أصحّ.

---

١ ا: القُطوب.

حدّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال حدّثني أبي وحدّثني أبو الفضل الكاتب المعروف ٤،٩٣
بفَنْجاخ قال

كان الحسن بن وهب يكتب لمحمّد بن عبد الملك الزيّات وهو يزر للواثق وكان ابن الزيّات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وأبي تمّام في غلاميهما فتقدّم إلى بعض ولده وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهب أن يعلموه خبرهما وما كان منهما. قالا فعزم غلام أبي تمّام على الحِجامة فكتب إلى الحسن يعلمه بذلك ويسأله التوجيه إليه بنبيذ فوجّه إليه بمائة دنّ ومائة دينار وخلعة وبخور وكتب [الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي يَا أَمْلَحَ ٱلنَّاسِ عِنْدِي ... هَلْ تَدَاوَيْتَ بِٱلْحِجَامَةِ بَعْدِي
دَفَعَ ٱللهُ عَنْكَ لِي كُلَّ سُوءٍ ... بَاكِرٍ رَائِحٍ وَإِنْ خُنْتَ عَهْدِي
قَدْ كَتَمْتُ ٱلْهَوَى بِمَبْلَغِ جَهْدِي ... فَبَدَا مِنْهُ غَيْرُ مَا كُنْتُ أُبْدِي
وَخَلَعْتُ ٱلْعِذَارَ فَلْيَعْلَمِ ٱلنَّا ... سُ بِأَنِّي إِيَّاكَ أُصْفِي بِوُدِّي
وَلْيَقُولُوا بِمَا أَحَبُّوا وَإِنْ كُنْـ ... ـتَ وَصُولاً وَلَمْ تَرُعْنِي بِصَدِّ
مَن عَذِيرِي مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَمِن إِشْـ ... ـرَاقِ ثَغْرٍ مِنْ تَحْتِ حُمْرَةِ خَدِّ

ووضع الرقعة تحت مصلّاه وبلغ محمّد بن عبد الملك خبر الرقعة فوجّه إلى الحسن فشغله بشيء من أمره ثمّ أمر من جاءه بالرقعة فلمّا قرأها كتب فيها على لسان أبي تمّام [الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ لَيْتَ شِعْرِكَ هٰذَا ... أَبِهَزْلٍ تَقُولُه أَمْ بِجِدِّ
فَلَئِنْ كُنْتَ فِي ٱلْمَقَالِ مُحِقّاً ... يَا ٱبْنَ وَهْبٍ لَقَدْ تَطَرَّفْتَ بَعْدِي
وَتَشَبَّهْتَ بِي وَكُنْتُ أُرَى أَنِّـ ... ـي أَنَا ٱلْعَاشِقُ ٱلْمُتَيَّمُ وَحْدِي
أَتْرُكُ ٱلْقَصْدَ فِي ٱلْأُمُورِ وَلَوْلَا ... عَثَرَاتُ ٱلْهَوَى لَأَبْصَرْتُ قَصْدِي
لَا أُحِبُّ ٱلَّذِي يَلُومُ وَإِنْ كَا ... نَ حَرِيصاً عَلَى هَلَاكِي وَجَهْدِي
وَأُحِبُّ ٱلْأَخَ ٱلْمُشَارِكَ فِي ٱلْحُبِّ ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ مِثْلُ وَجْدِي

كَنَدِيمَيْ أَبِي عَلِيٍّ وَحَاشَا لِنَدِيمِي مِنْ مِثْلِ شِقْوَةِ جَدِّي
إِنَّ مَوْلَايَ عَبْدُ غَيْرِي وَلَوْلَا شُؤْمُ جَدِّي لَكَانَ مَوْلَايَ عَبْدِي
سَيِّدِي سَيِّدِي وَمَوْلَايَ مَنْ أَوْ رَثَنِي ذِلَّةً وَأَضْرَعَ خَدِّي

ثمّ قال ضعوا الرقعة مكانها فلمّا قرأها الحسن قال إنّا لله افتضحنا والله عند الوزير. وأعلم أبا تمّام بما كان ووجّه إليه بالرقعة فلقيا محمّد بن عبد الملك وقالا له إنّما جعلنا هذين سبباً لتكاتبنا بالأشعار.

فقال ومن يظنّ بكما غير هذا؟ فكان قوله أشدّ عليهما.

حدّثني محمّد بن موسى بن حمّاد قال ١،٩٤

كنت عند دعبل بن عليّ أنا والعَمْرَويّ سنة خمس وثلاثين بعد قدومه من الشام فذكرنا أبا تمّام فجعل يثلبه ويزعم أنّه يسرق الشعر ثمّ قال لغلامه يا نَفْنَفُ هات تلك المِخلاة فجاء بمخلاة فيها دفاتر فجعل يُمِرّها على يده حتّى أخرج منها دفترًا فقال اقرءوا هذا فنظرنا فإذا في الدفتر قال

مُكنِف أبو سُلمى من ولد زهير بن أبي سلمى وكان هجا ذُفافَة العَبْسِيّ بأبيات منها

[الكامل]

إِنَّ ٱلضُّرَاطَ بِهِ تَصَاعَدَ جَدُّكُمْ فَتَعَاظَمُوا ضَرِطًا بَنِي ٱلْقَعْقَاعِ

قال ثمّ رثاه بعد ذلك فقال

أَبَعْدَ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ يُسْتَعْذَبُ ٱلدَّهْرُ وَمَا بَعْدَهُ لِلدَّهْرِ حُسْنٌ وَلَا عُذْرُ
أَلَا أَيُّهَا ٱلنَّاعِي ذُفَافَةَ وَٱلنَّدَى تَعِسْتَ وَشُلَّتْ مِنْ أَنَامِلِكَ ٱلْعَشْرُ
أَتَنْعَى لَنَا مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ صَخْرَةً تَفَلَّقَ عَنْهَا مِنْ جِبَالِ ٱلْعِدَى ٱلصَّخْرُ
إِذَا مَا أَبُو ٱلْعَبَّاسِ خَلَّى مَكَانَهُ فَلَا حَمَلَتْ أُنْثَى وَلَا نَالَهَا طُهْرُ

وَلَا أَمْطَرَتْ أَرْضاً سَمَاءٌ وَلَا جَرَتْ   نُجُومٌ وَلَا لَذَّتْ لِشَارِبِهَا ٱلْخَمْرُ
كَأَنَّ بَنِي ٱلْقَعْقَاعِ يَوْمَ وَفَاتِهِ   نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا ٱلْبَدْرُ
تُوُفِّيَتِ ٱلْآمَالُ بَعْدَ وَفَاتِهِ   وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ ٱلسَّفَرِ ٱلسَّفْرُ

ثمّ قال سرق أبو تمّام أكثر هذه القصيدة فأدخلها في شعره.

وحدّثني محمّد بن موسى بهذا الحديث مرّة أخرى ثمّ قال ٢،٩٤

فحدّثت الحسن بن وهب بذلك فقال لي أمّا قصيدة مكنف هذه فأنا أعرفها وشعر هذا الرجل عندي وقد كان أبو تمّام ينشدنيه وما في قصيدته شيء ممّا في قصيدة أبي تمّام ولكنّ دعبلاً خلط القصيدتين إذ كانتا في وزن واحد وكانتا مرثيتين ليكذب على أبي تمّام.

حدّثنا عبد الله بن الحُسين قال حدّثني وَهْب بن سعيد قال ١،٩٥

جاء[١] دعبل إلى أبي عليّ الحسن بن وهب في حاجة بعد ما مات أبو تمّام فقال له رجل يا أبا عليّ أنت الذي تطعن على من يقول [الطويل]

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِي   وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ
وَأَنْجَدْتُمُ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ   فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

فصاح دعبل أحسنَ والله وجعل يردّد فيا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ ثمّ قال رحمه الله. لو ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنّه أشعر الناس.

ولهذا الشعر خبر حدّثني عبد الله بن المعتزّ قال ٢،٩٥

١ ا: جانا.

جاءني محمّد بن يزيد النحويّ فاحتبسته فأقام عندي فجرى ذكر أبي تمّام فلم يوفّه حقّه وكان في المجلس رجل من الكتّاب نُعْمانيّ ما رأيت أحداً أحفظ لشعر أبي تمّام منه. فقال له يا أبا العبّاس ضع في نفسك من شئت من الشعراء ثمّ انظر أيُحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمّام لأبي المُغيث موسى بن إبراهيم الرافقيّ يعتذر إليه [الطويل]

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِي ... وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ
وَأَنْجَدْتُمُ مِنْ بَعْدِ إتْهَامِ دَارِكُمْ ... فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

ثمّ مرّ فيها حتّى بلغ إلى قوله في الاعتذار

أَتَانِي مَعَ ٱلرُّكْبَانِ ظَنٌّ ظَنَنْتُهُ ... لَفَفْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ ٱلْمَجْدِ
لَقَدْ نَكَبَ ٱلْغَدْرُ ٱلْوَفَاءَ بِسَاحَتِي ... إِذَنْ وَسَرَحْتُ ٱلذَّمَّ فِي مَسْرَحِ ٱلْحَمْدِ
جَحَدْتُ إِذَنْ كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ شَاكَلَتْ ... يَدَ ٱلْقُرْبِ أَعْدَتْ مُسْتَهَاماً عَلَى ٱلْبُعْدِ
وَمِنْ زَمَنٍ أَلْبَسْتَنِيهِ كَأَنَّهُ ... إِذَا ذُكِرَتْ أَيَّامُهُ زَمَنُ ٱلْوَرْدِ
وَكَيْفَ وَمَا أَخْلَلْتُ بَعْدَك بِٱلْحِجَى ... وَأَنْتَ فَلَمْ تُخْلِلْ بِمَكْرُمَةٍ بَعْدِي
أُسَرْبِلُ هُجْرَ ٱلْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ ... إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي
كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَٱلْوَرَى ... مَعِي وَمَتَى مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي
فَإِنْ يَكُ جُرْمٌ عَنَّ أَوْ تَكُ هَفْوَةٌ ... عَلَى خَطَإٍ مِنِّي فَعُذْرِي عَلَى عَمْدِ

فقال أبو العبّاس محمّد بن يزيد ما سمعت أحسن من هذا قطّ. ما يهضم هذا الرجل حقّه إلّا أحد رجلين إمّا جاهل بعلم الشعر ومعرفة الكلام وإمّا عالم لم يتبحّر شعره ولم يسمعه.

قال أبو العبّاس عبد الله بن المعتزّ وما مات إلّا وهو منتقل عن جميع ما كان يقوله مُقرّ بفضل أبي تمّام وإحسانه.

أمّا قوله ٣،٩٥

أَأُلْبِسُ هُجْرَ ٱلْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ   إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي

فهو منقول من شعر حسن لا يفضله شعر. حدّثني محمّد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدّثني عُبيد الله بن الضحّاك عن الهيثم بن عَديّ عن عَوانة قال

أُتِيَ الحجّاج بجماعة من الخوارج من أصحاب قَطَريّ وفيهم رجل كان له صديقاً فأمر بقتلهم وعفا عن ذلك الرجل ووصله وخلّى سبيله. فمضى إلى قطريّ فقال له قطريّ عاوِدْ قِتال عدوّ الله الحجّاج فقال هيهات. غَلَّ يداً مُطلِقُها واسترقّ رَقَبَةً مُعتِقُها ثمّ قال [الكامل]

أَأُقَاتِلُ ٱلْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ   بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَاتُهُ
إِنِّي إِذَنْ لَأَخُو ٱلدَّنَاءَةِ وَٱلَّذِي   عَفَّتْ عَلَى إِحْسَانِهِ جَهَلَاتُهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ   فِي ٱلصَّفِّ وَٱحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ
أَأَقُولُ جَارَ عَلَيَّ لَا إِنِّي إِذَنْ   لَأَحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلَاتُهُ
وَيُحَدِّثُ ٱلْأَقْوَامُ أَنَّ صَنِيعَةً   غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنْظَلَتْ نَخَلَاتُهُ
هَـٰذَا وَمَا طِبِّي بِجُبْنٍ إِنَّنِي   فِيكُمْ لَمِطْرَقُ[١] مَشْهَدٍ وَعَلَاتُهُ

وجدت بخطّ أحمد بن إسماعيل بن الخصيب أنّ محمّد بن عبد الملك أوصل إلى الواثق ٩٦
قصيدة لأبي تمّام يمدحه بها أوّلها [الكامل]

وَأَبِي ٱلْمَنَازِلِ إِنَّهَا لَشُجُونُ   وَعَلَى ٱلْعُجُومَةِ إِنَّهَا لَتُبِينُ

فقُرِئت عليه فلمّا بلغ إلى قوله

١ ا: لمطرِق.

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ ٱللِّسَانِ قِلَادَةٌ ... سِمْطَانِ فِيهَا ٱللُّؤْلُؤُ ٱلْمَكْنُونُ
حُذِيَتْ حِذَاءَ ٱلْحَضْرَمِيَّةِ أُرْهِفَتْ ... وَأَجَادَهَا ٱلتَّخْصِيرُ وَٱلتَّلْسِينُ
إِنْسِيَّةٌ وَحْشِيَّةٌ كَثُرَتْ بِهَا ... حَرَكَاتُ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ وَهْيَ سَكُونُ
أَمَّا ٱلْمَعَانِي فَهْيَ أَبْكَارٌ إِذَا ... نُصَّتْ وَلَٰكِنَّ ٱلْقَوَافِي عُونُ
أَحْذَاكَهَا صَنَعُ ٱلضَّمِيرِ يَمُدُّهُ ... جَفْرٌ إِذَا نَضَبَ ٱلْكَلَامُ مَعِينُ
وَيُسِيءُ[١] بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ ... هُوَ بِٱبْنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَفْتُونُ
يَرْمِي بِهِمَّتِهِ إِلَيْكَ وَهَمِّهِ ... أَمَلٌ لَهُ أَبَدًا عَلَيْكَ حَرُونُ
وَلَعَلَّ مَا يَرْجُوهُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ ... بِكَ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا سَيَكُونُ

فقال ادفع إليه مائتي دينار
فقال محمّد إنّه قويّ الأمل واسع الشكر
قال فأضعفها له.

وقد روينا من غير هذه الجهة أنّه أمر له بمائة ألف درهم.

وأنشدني محمّد بن داود لأبي تمّام في آل وهب ما استحسنه [الخفيف] ٩٧

كُلُّ شِعْبٍ كُنْتُمْ بِهِ آلَ وَهْبٍ ... فَهْوَ شِعْبِي وَشِعْبُ كُلِّ أَدِيبِ
إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَٱلْكَبِدِ ٱلْحَرَّ ... ى وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَٱلْقُلُوبِ

ولو كان هذا البيت الثاني في مدح آل الرسول عليهم السلام والتفجّع لما نالهم يوم كَرْبَلاء وبعده لكان فيه أشعر الناس.

وقد روى مسعود بن عيسى قال حدّثني صالح غلام أبي تمّام المنشد كان لشعر أبي ٩٨
تمّام وكان حسن الوجه قال

١ ا: تسيء.

دخل أبو تمّام على الحسن بن وهب وأنا معه وعلى رأسه جارية ظريفة فأومأ إليها الحسن يغريها بأبي تمّام فقالت [الخفيف]

يَا ٱبْنَ أَوْسٍ أَشْبَهْتَ فِي ٱلْفِسْقِ أَوْسَا   وَٱتَّخَذْتَ ٱلْغُلَامَ إِلْفًا وَعِرْسَا

فقال أبو تمّام [الكامل]

أَبَرَقْتِ لِي إِذْ لَيْسَ لِي بَرَقُ   فَتَزَحْزَحِي مَا عِنْدَنَا عِشْقُ
مَا كُنْتُ أَفْسُقُ وَٱلشَّبَابُ أَخِي   أَفَحِينَ شِبْتُ يَجُوزُ لِي ٱلْفِسْقُ
لِي هِمَّةٌ عَنْ ذَاكَ تَرْدَعُنِي   وَمُرَكَّبٌ مَا خَانَهُ عِرْقُ

أخبار أبي تمّام مع آل طاهر بن الحُسَين

حدّثنا محمّد بن إسحاق النحويّ قال حدّثنا أبو العَيْناء عن عليّ بن محمّد الجُرْجانيّ قال اجتمعنا بباب عبد الله بن طاهر من بين شاعر وزائر ومعنا أبو تمّام فحُجبنا أيّاماً فكتب إليه أبو تمّام [الخفيف] ١،٩٩

أَيُّهَذَا ٱلْعَزِيزُ قَدْ مَسَّنَا ٱلضُّرُّ جَمِيعًا وَأَهْلُنَا أَشْتَاتُ
وَلَنَا فِي ٱلرِّحَالِ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَلَدَيْنَا بِضَاعَةٌ مُزْجَاةٌ[١]
قَلَّ طُلَّابُهَا فَأَضْحَتْ خَسَارًا فَتِجَارَاتُنَا بِهَا تُرَّهَاتُ
فَٱحْتَسِبْ أَجْرَنَا وَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَصَدِّقْ فَإِنَّنَا أَمْوَاتُ

فضحك عبد الله لمّا قرأ الشعر قال قولوا لأبي تمّام لا تعاود مثل هذا الشعر فإنّ القرآن أجلّ من أن يُستعار شيء من ألفاظه للشعر.

قال ووجد عليه.

حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن موسى الرازيّ قال حدّثني محمّد بن إسحاق الخُتَّليّ وكان يتوكّل لعبد الله بن طاهر قال ٢،٩٩

لمّا قدم أبو تمّام على عبد الله بن طاهر أمر له بشيء لم يرضه ففرّقه فغضب عليه لاستقلاله ما أعطاه وتفريقه إيّاه.

فشكا أبو تمّام ذلك إلى أبي العَمَيْثَل شاعر آل طاهر وأخصّ الناس بهم فدخل على عبد الله بن طاهر فقال له أيّها الأمير أتغضب على من حمل إليك أمله من العراق وكدّ فيك جسمه وفكره ومن يقول فيك [البسيط]

---

١ ا: مزجات.

يَقُولُ فِي قُومِسٍ[١] صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ   مِنَّا ٱلسُّرَى وَخُطَى ٱلْمَهْرِيَّةِ ٱلْقُودِ
أَمَطْلَعَ ٱلشَّمْسِ تَنْوِي أَنْ تَؤُمَّ بِنَا   فَقُلْتُ كَلَّا وَلَٰكِنْ مَطْلَعَ ٱلْجُودِ

قال فدعا به ونادمه يومه ذلك وخلع عليه ووهب له ألف دينار وخاتماً كان في يده له قدر.

حدّثني أبو عبد الله محمّد بن طاهر قال ١،١٠٠

لمّا دخل أبو تمّام أَبْرَشَهْر هوي بها مغنّية كانت تغنّي بالفارسيّة وكانت حاذقة طيّبة الصوت. فكان عبد الله كلّما سأل عنه أُخبر أنّه عندها فنقص عنده. قال وفيها يقول أبو تمّام [الوافر]

أَيَا سَهَرِي بِلَيْلَةِ أَبْرَشَهْرٍ   ذَمَمْتَ إِلَيَّ يَوْمًا فِي سِوَاهَا
شَكَرْتُكِ لَيْلَةً حَسُنَتْ وَطَابَتْ   أَقَامَ سُرُورُهَا وَمَضَى كَرَاهَا
إِذَا وَهَدَاتُ أَرْضٍ كَانَ فِيهَا   رِضَاكَ فَلَا تَحِنُّ إِلَى رُبَاهَا
سَمِعْتُ بِهَا غِنَاءً كَانَ أَحْرَى   بِأَنْ يَقْتَادَ نَفْسِي مِنْ غِنَاهَا
وَمُسْمِعَةٍ تَقُوتُ ٱلسَّمْعَ حُسْنًا   وَلَمْ تُصْمِمْهُ لَا يُصْمَمْ صَدَاهَا
مَرَتْ أَوْتَارَهَا فَشَجَتْ وَشَاقَتْ   فَلَوْ يَسْطِيعُ سَامِعُهَا فَدَاهَا
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيَهَا وَلَٰكِنْ   وَرَتْ كَبِدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا
فَبِتُّ كَأَنَّنِي أَعْمَى مُعَنًّى   يُحِبُّ ٱلْغَانِيَاتِ وَمَا يَرَاهَا

وقد أحسن أبو تمّام في هذه الأبيات على أنّ الحسين بن الضحّاك قد قال، ورواه قوم ٢،١٠٠
لأبي نواس ولا أعلمه له ولكنّ أبا جعفر المهلّبيّ أنشدنيه للحسين، وقد سمع فارسيّاً يغنّي [الهزج]

١ ا: قومُس.

وَصَوْتٍ لِبَنِي ٱلْأَحْرَا ... رِ أَهْلِ ٱلسِّيرَةِ ٱلْحُسْنَى
شَجِيٍّ يَأْكُلُ ٱلْأَوْتَا ... رَ حَتَّى كُلُّهَا يَفْنَى
فَمَا أَدْرِي ٱلْيَدُ ٱلْيُسْرَى ... بِهِ أَشْقَى أَمِ ٱلْيُمْنَى
وَمَا أَفْهَمُ مَا يَعْنِي ... مُغَنِّينَا إِذَا غَنَّى
سِوَى أَنِّيَ مِنْ حُبِّي ... لَهُ أَسْتَحْسِنُ ٱلْمَعْنَى

ويروى أَنِّيَ مِنْ عُجْبِي بِهِ.

٣،١٠٠ وأوّل من نطق بهذا المعنى وزعم أنّ أعجميّاً شاقه وشجاه حُمَيد بن ثَوْر إلّا أنّه وصف صوت حمامة [الطويل]

عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى يَكُونُ غِنَاؤُهَا ... فَصِيحًا وَلَمْ تَفْغَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا
وَلَمْ أَرَ مَحْقُورًا لَهُ مِثْلُ صَوْتِهَا ... أَحَنَّ وَأَجْوَى لِلْحَزِينِ وَأَكْلَمَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلِي هَاجَهُ ٱلْيَوْمَ مِثْلُهَا ... وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمَا

٤،١٠٠ وأمّا قوله وَمُسْمِعَةٍ تَقُوتُ ٱلسَّمْعَ حُسْناً فهو من قولهم الغناء غذاء الأسماع كما أنّ الطعام غذاء الأبدان.

٥،١٠٠ حدّثني محمّد بن سعيد وغيره عن حمّاد بن إسحاق قال

كان مروان بن أبي حَفْصَة يجيء إلى جدّي إبراهيم فإذا تغدّى قال قد أطعمتمونا طيّباً فأطعموا آذاننا حسناً.

٦،١٠٠ وقال ابن أبي طاهر

قلت لأبي تمّام أعَنَيت بقولك أحداً [الوافر]

فَبِتُّ كَأَنَّنِي أَعْمَى مُعَنًّى ... يُحِبُّ ٱلْغَانِيَاتِ وَمَا يَرَاهَا

فقال نعم عنيت بشّار بن برد الضرير.
قال وأنا أحسبه أراد قوله [البسيط]

يَا قَوْمِ أُذْنِي لِبَعْضِ ٱلْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَٱلْأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ ٱلْعَيْنِ أَحْيَانَا
قَالُوا بِمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي فَقُلْتُ لَهُمْ ٱلْأُذْنُ كَٱلْعَيْنِ تُوفِي ٱلْقَلْبَ مَا كَانَا

حدّثنا محمّد بن يزيد المبرّد قال ١،١٠١

مات ابنان صغيران لعبد الله بن طاهر في يوم واحد فدخل عليه أبو تمّام فأنشده [الكامل]

مَا زَالَتِ ٱلْأَيَّامُ تُخْبِرُ سَائِلَا أَنْ سَوْفَ تَفْجَعُ مُسْهِلاً أَوْ عَاقِلَا[1]

فلمّا بلغ إلى قوله

مَجْدٌ تَأَوَّبَ طَارِقًا حَتَّى إِذَا قُلْنَا أَقَامَ ٱلدَّهْرَ أَصْبَحَ رَاحِلَا
نَجْمَانِ شَاءَ ٱللّٰهُ أَلَّا يَطْلُعَا إِلَّا ٱرْتِدَادَ ٱلطَّرْفِ حَتَّى يَأْفِلَا
إِنَّ ٱلْفَجِيعَةَ بِٱلرِّيَاضِ نَوَاضِرًا لَأَجَلُّ مِنْهَا بِٱلرِّيَاضِ ذَوَابِلَا
لَوْ يَنْشَآنِ لَكَانَ هٰذَا غَارِبًا لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَانَ هٰذَا كَاهِلَا

كذا أنشده وكذا ينشده الناس والذي أقرأنيه أبو مالك عون ابن محمّد الكنديّ وقال قرأته على أبي تمّام لو يُنْسَآنِ أيْ لَوْ يُؤَخَّرَانِ وهو الأجود عندي.

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ ٱلْمَخَائِلِ فِيهِمَا لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلَا
لَغَدَا سُكُونُهُمَا حِجًى وَصِبَاهُمَا كَرَمًا وَتِلْكَ ٱلْأَرْيَحِيَّةُ نَائِلَا
إِنَّ ٱلْهِلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلَا

---

١ ا: غاقلا.

كذا أنشد والصحيح وَصِبَاهُمَا حِلْمًا[1] وهو أجود من جهات واحدة لأنّ نائلاً قد ناب عن الكرم فيجيء بالحلم ليجمع أصناف المدح والأخرى أنّ الحلم أحسن جواراً للحجى وهو العقل من الكرم. والأخرى أنّه جعل سكونهما حجًى أي عقلاً وأريحيّتهما نائلاً فيجب أن يكون الصبا حلماً حتّى لا يكون تلك الفعلة إلّا للحلم.

٢،١٠١ وإن أنصف من يقرأ هذا وأشباهه من تفسيرنا علم أنّ أحداً لم يستقلّ بمثله ولا علم حقيقة الكلام كما علمناه إلّا أن يتعلّمه من هذه الجهة متعلّمٌ ذكيٌّ فهمٌ فيبلغ فيه. وهذا دليل على حذق أبي تمّام وجهل الناس في الرواية وهذا داء قديم.

٣،١٠١ قال جرير لبعض الرواة أسألك بالله من أشعر عندك أنا أو الفَرَزْدَق؟

فقال والله لأصدقنّك أمّا عند خواصّ الناس وعلمائهم فهو أشعر منك وأمّا عند عامّة الناس ودهمائهم فإنّك أشعر.

فقال غلبتُه وربّ الكعبة وتقدّمته متى يقع الخاصّ من العامّ؟

٤،١٠١ قال فلمّا سمع هذا عبد الله وكان يتعنّته كثيراً قال قد أحسنت ولكنّك تؤسّفني وليس تعزّيني فلمّا قال

قُـلْ لِلأَمِيرِ وَإِنْ لَقِـيتَ مُوَقَّـرَا مِنْهُ بِرَيْبِ ٱلْحَادِثَاتِ حُـلَاحِلَا
إِنْ تُـرْزَ فِي طَرَفَيْ نَهَارٍ وَاحِدٍ رُزْءَيْنِ هَـاجَـا لَوْعَـةً وَبَلَابِلَا
فَـٱلثِّقْلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّـةٍ إِلَّا إِذَا مَـا كَانَ وَهْـمًا بَازِلَا
شَمَخَتْ خِلَالُكَ أَنْ يُؤَسِّـيَكَ ٱمْرُؤٌ أَوْ أَنْ تُـذَكَّرَ نَاسِـيًا أَوْ غَـافِلَا
إِلَّا مَوَاعِـظَ قَادَهَا لَكَ سَمْحَـةً إِسْجَاحُ لُبِّكَ سَـامِعًا أَوْ قَـائِلَا

قال الآن عزّيتَ وأمر فكُتبت القصيدة ووصله.

٥،١٠١ وهذا فإنّما احتذى به أبو تمّام قول الفرزدق وقد ماتت له جارية نُفَساءُ فوُجد في بطنها صبيّ ميّت [الطويل]

[1] ١ ا: كذا أنشد وصِباهُما وهو؛ (والصحيح) و(حِلْمًا) زيادتان يقتضيهما السياق.

وجَفْنِ سِلاَحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنُحْ　　عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ ٱلْبَوَاكِيَا
وَفِي جَوْفِهِ مِنِ دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ　　لَوَ انَّ ٱلْمَنَايَا[1] أَنْسَأَتْهُ لَيَالِيَا

وليس كلام أحسن من قوله وَجَفْنِ سِلاَحٍ قَدْ رُزِئْتُ وتشبيهه هذا.

١٠٢ حدّثني أبو بكر عبد الرحمن بن أحمد قال سمعت أبا عليّ الحسين يقول

ما كان أحد أشعف بشعر أبي تمّام من إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ وكان يعطيه عطاء كثيرًا.

١٠٣ حدّثنا أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبي قال

دخل أبو تمّام على إسحاق بن إبراهيم فأنشده مدحًا له وجاء إسحاق بن إبراهيم المَوْصِليّ إلى إسحاق مسلّمًا عليه فلمّا استؤذن له قال له أبو تمّام حاجتي أيّها الأمير أن تأمر إسحاق أن يستمع بعض قصائدي فيك فلمّا دخل قال له ذلك فجلس وأنشده عدّة قصائد فأقبل إسحاق على أبي تمّام فقال أنت شاعر مجيد محسن كثير الاتّكاء على نفسك

يريد أنّه يعمل المعاني. وكان إسحاق شديد العصبيّة للأوائل كثير الاتّباع لهم.

١٠٤ ويروى أنّ عبد الله بن طاهر حجبه فكتب إليه

صَبْرًا عَلَى ٱلْمَطْلِ مَا لَمْ يَتْلُهُ ٱلْكَذِبُ　　وَلِلْخُطُوبِ إِذَا سَامَحْتَهَا عُقَبُ
عَلَى ٱلْمَقَادِيرِ لَوْمٌ إِنْ رُمِيتَ بِهَا　　مِنْ قَادِرٍ وَعَلَيَّ ٱلسَّعْيُ وَٱلطَّلَبُ
يَأَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلنَّائِي بِرُؤْيَتِهِ　　وَجُودُهُ لِمُرَاعِي جُودِهِ كَثَبُ
لَيْسَ ٱلْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلاً　　إِنَّ ٱلسَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

---

[1] ا: لو أنّ الليالي، ومكتوب فوقها بخطّ صغير (المنايا).

ويروى أنّه كتب بها إلى أبي دلف وقيل إلى ابن أبي دؤاد وقيل في إسحاق.

حدّثني أحمد بن محمّد البصريّ قال حدّثني فضل اليزيديّ قال ١٠٥

لما صار أبو تمّام إلى خراسان لمدح عبد الله بن طاهر كرهها وأقبل الشتاء فاشتدّ عليه أمر البرد فقال يذمّ الشتاء ويمدح الصيف [البسيط]

لَمْ يَبْقَ لِلصَّيْفِ لَا رَسْمٌ وَلَا طَلَلُ   وَلَا قَشِيبٌ فَيُسْتَكْسَى وَلَا سَمَلُ
عَدْلًا مِنَ ٱلدَّمْعِ أَنْ يَبْكِي ٱلْمَصِيفَ كَمَا   يُبْكَى ٱلشَّبَابُ وَيُبْكَى ٱللَّهْوُ وَٱلْغَزَلُ
يُمْنَى ٱلزَّمَانِ طَوَتْ مَعْرُوفَهَا وَغَدَتْ   يُسْرَاهُ وَهْيَ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ بَدَلُ

وهي قصيدة سنذكرها في شعره فبلغ شعره عبد الله بن طاهر فعجّل جائزته وصرفه.

حدّثني أحمد بن إسماعيل بن الخصيب قال حدّثني عبد الله بن أحمد النَّيسابوريّ وكان أديبًا شاعرًا قال ١،١٠٦

استبطأ أبو تمّام صلة عبد الله بن طاهر فكتب إلى أبي العَمَيْثَل شاعر عبد الله وكان دفع إليه رقعة ليوصّلها إلى عبد الله [الكامل]

لَيْتَ ٱلظِّبَاءَ أَبَا ٱلْعَمَيْثَلِ خَبَّرَتْ   خَبَرًا يُرَوِّي صَادِيَاتِ ٱلْهَامِ
إِنَّ ٱلْأَمِيرَ إِذَا ٱلْحَوَادِثُ أَظْلَمَتْ   نُورُ ٱلزَّمَانِ وَحِلْيَةُ ٱلْإِسْلَامِ
وَٱللهِ مَا يَدْرِي بِأَيَّةِ حَالَةٍ   يُثْنِي مُجَاوِرُهُ عَلَى ٱلْأَيَّامِ
أَلِمَا يُجَامِعُهُ لَدَيْهِ مِنَ ٱلْغِنَى   أَمْ مَا يُفَارِقُهُ مِنَ ٱلْإِعْدَامِ
وَأَرَى ٱلصَّحِيفَةَ قَدْ عَلَتْهَا فَتْرَةٌ   فَتَرَتْ لَهَا ٱلْأَرْوَاحُ فِي ٱلْأَجْسَامِ
إِنَّ ٱلْجِيَادَ إِذَا عَلَتْهَا صَنْعَةٌ   رَاقَتْ ذَوِي ٱلْآدَابِ وَٱلْأَفْهَامِ
لِتَزَيُّدِ ٱلْأَبْصَارِ فِيهَا فُسْحَةٌ   وَتَأَمُّلٌ بِإِشَارَةِ ٱلْقُوَّامِ

لَوْلَا ٱلْأَمِيرُ وَأَنَّ حَاكِمَ رَأْيِهِ   فِي ٱلشِّعْرِ أَصْبَحَ أَعْدَلَ ٱلْحُكَّامِ
لَثَكِلْتُ آمَالِي لَدَيْهِ بِأَسْرِهَا   وَلَكَانَ إِنْشَادِي خَفِيرَ كَلَامِي
وَلَخِفْتُ فِي تَفْرِيقِهِ مَا بَيْنَنَا   مَا قِيلَ فِي عَمْرٍو وَفِي ٱلصَّمْصَامِ

فكتب إليه أبو العميثل [الكامل] ٢،١٠٦

أَفْهَمْتَنَا فَنَقَعْتَ بِٱلْإِفْهَامِ   فَٱسْمَعْ جَوَابَكَ يَا أَبَا تَمَّامِ
إِنَّ ٱلظِّبَاءَ سَنِيحُهَا كَبَرِيحِهَا   فِي جَهْلِهَا بِتَصَرُّفِ ٱلْأَقْوَامِ
جَفَّتْ بِأَيَّامِ ٱلْفَتَى وَبِرِزْقِهِ   فِي ٱللَّوْحِ قَبْلُ سَوَابِقُ ٱلْأَقْلَامِ
قَدْ كُنْتُ حَاضِرَ كُلِّ مَا حَبَّرْتَهُ   مِنْ مَنْطِقٍ مُسْتَحْكَمِ ٱلْإِبْرَامِ
فِيهِ لَطَائِفُ مِنْ قَرِيضٍ مُونِقٍ   نَطَقَتْ بِذٰلِكَ أَلْسُنُ ٱلْحُكَّامِ
مُلْسُ ٱلْمُتُونِ لَدَى ٱلسَّمَاعِ كَأَنَّهَا   لَمْسًا وَمَنْظَرَةً مُتُونُ سِلَامِ
وَشَهِدْتُ مَا قَالَ ٱلْأَمِيرُ بِعَقْبِهِ   مِنْ أَنَّهُ عَسَلٌ بِمَاءِ غَمَامِ
وَشَهِدْتُ أَجْمَلَ مَحْضَرٍ مِنْ مَعْشَرٍ   مَنَحُوا كَرِيمَ ٱلْقَوْلِ نُجْلَ كِرَامِ
فَعَلَيْكَ مَحْمُودَ ٱلْأَنَاءَةِ إِنَّهَا   وَٱلنُّجْحَ فِي قَرَنٍ عَلَى ٱلْأَيَّامِ
وَذَكَرْتَ عَمْرًا قَبْلَنَا وَفِرَاقَهُ   صَمْصَامَةَ ٱلنَّجَدَاتِ وَٱلْإِقْدَامِ
وَٱللهُ يَنْظِمُنَا بِعِزِّ أَمِيرِنَا   وَطِوَالِ مُدَّتِهِ أَتَمَّ نِظَامِ

وله في مُقامه بخراسان وتكرّهه إيّاها أشعار سنذكرها في شعره إن شاء الله.

أخبار أبي تمّام مع أبي سعيد محمّد بن يوسف الثَّغْريّ الطائيّ ٱلحُمَيْديّ

حدّثني عبد الله بن الحسين بن سعد قال حدّثني البحتريّ قال ١٠٧

أبو سعيد الثَّغْريّ طائيّ من أهل مَرْو وكان من قوّاد حُميد الطوسيّ ومن أوّل شعر مدحه به أبو تمّام قوله [الخفيف]

مِنْ سَجَايَا ٱلطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَتِي أَنْ تَصُوبَا

قال وما أخذ أبو تمّام من أحد كما أخذ منه ليس أنّه كان يُكثر له ولكن كان يديم ما يعطيه.

حدّثني عبد الرحمن بن أحمد بن الوليد قال حدّثني أبو أحمد محمّد بن موسى بن حمّاد البَرْبَريّ قال حدّثني صالح بن محمّد الهاشميّ قال ١٠٨

دخلت على أبي سعيد الثَّغْريّ فأخرج لي كتاباً من أبي تمّام إليه ففتحته فإذا فيه [الكامل]

إِنِّي أَتَتْنِي مِنْ لَدُنْكَ صَحِيفَةٌ غَلَبَتْ هُمُومَ ٱلصَّدْرِ وَهْيَ غَوَالِبُ
وَطَلَبْتَ وُدِّي وَٱلتَّنَائِفُ بَيْنَنَا فَنَدَاكَ مَطْلُوبٌ وَمَجْدُكَ طَالِبُ

وذكر أبياتاً سنذكرها في شعره تماماً لهذا.

ثمّ قال لي كتبت إلى أبي تمّام كتاباً وقرنته ببرّ له فجعل جوابه هذا الشعر ولم يخاطبني بحرف سواه.

١٠٩ حدّثني عون بن محمّد قال

قدم علي أبي تمّام رجل من إخوانه وكان قد بلغه أنّه قد أفاد وأثرى فجاءه يستميحه فقال له أبو تمّام لو جمعت ما آخذ ما احتجت إلى أحد ولكنّي آخذ وأنفق وسأحتال لك فكتب إلى أبي سعيد بقصيدة منها [السريع]

لَا زِلْتَ مِنْ شُكْرِيَ فِي حُلَّةٍ لَابِسُهَا فِي سَلَبٍ فَاخِرِ
يَقُولُ مَنْ تَقْرَعُ أَسْمَاعَهُ كَمْ تَرَكَ ٱلْأَوَّلُ لِلْآخِرِ
لِي صَاحِبٌ قَدْ كَانَ لِي مُؤْنِساً وَمَأْلَفاً فِي ٱلزَّمَنِ ٱلْغَابِرِ
تَحْمِلُ مِنْهُ ٱلْعِيسُ أُعْجُوبَةً تُجَدِّدُ ٱلسُّخْرِيَّ لِلسَّاخِرِ
ذَا ثَرْوَةٍ يَطْلُبُ مِنْ سَائِلٍ وَمُفْحَماً[١] يَأْخُذُ مِنْ شَاعِرِ
فَصَادَفَتْ مَالِي بِإِقْبَالِهِ مَنِيَّةٌ مِنْ أَمَلٍ عَائِرِ
فَشَارِكِ ٱلْمَقْمُورَ فِيهِ وَلَا تَكُنْ شَرِيكَ ٱلرَّجُلِ ٱلْقَامِرِ
فَرِفْدُكَ ٱلزَّائِرَ[٢] مَجْدٌ وَلَا كَرِفْدِكَ ٱلزَّائِرَ[٣] لِلزَّائِرِ

فوجّه لأبي تمّام بثلثمائة دينار وللزائر بمائتي دينار قال فأعطاه أبو تمّام خمسين دينارًا حتّى شاطره.

---

١ ا: مُفحَمٍ. ٢ ا: الزائرُ. ٣ ا: الزائرِ.

أخبار أبي تمّام مع أحمد بن المُعْتَصِم

حدّثني محمّد بن يحيى بن أبي عَبّاد قال حدّثني أبي قال ١،١١٠

شهدت أبا تمّام ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته التي مدحه بها [الكامل]

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ   تَقْضِي ذِمَامَ ٱلْأَرْبُعِ ٱلْأَدْرَاسِ
فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تُعِينَ بِمَائِهَا   وَٱلدَّمْعُ مِنْهُ خَاذِلٌ وَمُوَاسِي

والناس يروون هذا أَنْ تَعِينَ بِمَائِهَا وهو تصحيف.

فلمّا قال

أَبْلَيْتَ هٰذَا ٱلْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ   فِيهِ وَأَكْرَمَ شِيمَةٍ وَنِحَاسِ
إِقْدَامَ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ   فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

قال له الكنديّ وكان حاضراً وأراد الطعن عليه الأمير فوق من وصفت فأطرق قليلاً ثمّ زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ   مَثَلًا شَرُودًا فِي ٱلنَّدَى وَٱلْبَاسِ
فَٱللّٰهُ قَدْ ضَرَبَ ٱلْأَقَلَّ لِنُورِهِ   مَثَلًا مِنَ ٱلْمِشْكَاةِ وَٱلنِّبْرَاسِ

قال فعجبنا من سرعته وفطنته.

وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا وليس بشيء وهذا هو الصحيح.

ويروى أنّه عيب عليه قوله وقد أنشد هذه القصيدة التي فيها [الخفيف] ٢،١١٠

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ ٱلرَّ   أْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ ٱلْفُؤَادِ

فزاد فيها من لحظته

وَكَذَاكَ ٱلْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ   وَنَعِيمٍ طَلَائِعُ ٱلْأَجْسَادِ

حدّثني أحمد بن إسماعيل قال حدّثني عبد الله بن الحسين ولست أدري من عبد الله هذا قال ١١١

سمعت أبا تمّام ينشد أحمد بن المعتصم في علّة اعتلّها [المنسرح]

أَقْلَقَ جِفْنَ ٱلْعَيْنَيْنِ عَنْ غُمُضِهْ   وَشَدَّ هٰذَا ٱلْحَشَا عَلَى مَضَضِهْ
شَجًى بِمَا عَنَّ لِلْأَمِيرِ أَبِي ٱلْـ   ـعَبَّاسِ أَمْسَى نَصْبًا لِمُعْتَرِضِهْ
مِنَ ٱلْأُلَى[١] نَسْتَجِيرُ[٢] مِنْ شَرَقِ ٱلدَّ   هْرِ بِهِمْ إِنْ أَلَمَّ أَوْ جَرَضِهْ
صَاغَهُمُ[٣] ذُو ٱلْجَلَالِ مِنْ جَوْهَرِ ٱلْـ   ـمَجْدِ وَصَاغَ ٱلْأَنَامَ مِنْ عَرَضِهْ
سَهْمٌ مِنَ ٱلْمُلْكِ لَا يُضَيِّعُهُ   بَارِيهِ حَتَّى يَهْتَزَّ فِي غَرَضِهْ

وهذه من أحسن كناية في التعريض بالخلافة

صِحَّتُهُ صِحَّةُ ٱلرَّجَاءِ لَنَا   فِي حِينِ مُلْتَاثِهِ وَمُنْتَقَضِهْ
فَإِنْ نَجِدْ عِلَّةً نُعَمَّ بِهَا   حَتَّى كَأَنَّا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهْ

فقال له أحمد بن المعتصم ما أَبْيَنَ العلّة عليك.
فقال إنّها علّة قلب تُميت الخاطر وتسدّ الناظر وتُبلد الماهر.

١ ا: الاولي. ٢ ا: يستجير. ٣ ا: صاغهُمْ.

أخبار أبي تمّام مع مُخَلَّد بن بَكّار المَوْصِليّ

حدّثني أحمد بن إبراهيم قال حدّثني بدر غلام مخلّد قال ١١٢

دخل أبو تمّام الحمّام ومُخلَّد فيه وإذا عليه شَعر كثير كأنّه قد أُلبِس مَسحًا فقال له أبو تمّام ما هذا؟

قال حذرًا من لسانك أن ينسبني إلى البغاء.

حدّثني أبو سليمان النابلسيّ قال ١١٣

قيل لأبي تمّام قد هجاك مُخلَّد فلو هجوته؟

قال الهجاء يرفع منه.

قيل أليس هو شاعرًا؟

قال لو كان شاعرًا ما كان من الموصل. يعني أنّ الموصل لم تُخرج شاعرًا.

قال أبو سليمان وأصل مخلّد مِن الرُّحبَة ثمّ أقام بالموصل.

حدّثني أحمد بن محمّد البصريّ غلام خالد الحذّاء الشاعر وراويته قال حدّثني الخَليع الشاعر القُرَشيّ قال ١١٤

كان أوّل شعر هجا به مخلّد أبا تمّام قوله [الرمل]

أَنْتَ عِنْدِي عَرَبِيُّ ٱلْـ   أَصْلِ مَا فِيكَ كَلَامُ
عَرَبِيٌّ عَرَبِيٌّ   أَجَإِيٌّ[1] مَا تُرَامُ
شَعَرُ فَخْذَيْكَ وَسَاقَيْـ   ـكَ خُزَامَى وَثُمَامُ
وَضُلُوعُ ٱلشِّلْوِ مِنْ صَدْ   رِكَ نَبْعٌ[2] وَبَشَامُ
وَقَذَى عَيْنَيْكَ صَمْغٌ[3]   وَنَوَاصِيكَ ثَغَامُ
لَوْ تَحَرَّكْتَ كَذَا لَٱنْـ   جَفَلَتْ مِنْكَ نَعَامُ
وَظِبَاءٌ مُخْصِبَاتٌ   وَيَرَابِيعُ عِظَامُ
أَنَا مَا ذَنْبِيَ إِنْ خَا   لَفَنِي فِيكَ ٱلْأَنَامُ
وَأَتَتْ مِنْكَ سَجَايَا   نَبَطِيَّاتٌ لِئَامُ
وَقَفَا يَحْلِفُ أَنْ مَا   عَرِقَتْ فِيكَ ٱلْكِرَامُ
ثُمَّ قَالُوا جَاسِمِيٌّ   مِنْ بَنِي ٱلْأَنْبَاطِ خَامُ
كَذَبُوا مَا أَنْتَ إِلَّا   عَرَبِيٌّ مَا تُضَامُ
بَيْتُهُ مَا بَيْنَ سَلْمَى   وَحَوَالَيْهِ سِلَامُ
وَلَهُ مِنْ إِرْثِ آبَا   ءٍ قِسِيٌّ وَسِهَامُ
وَنَخِيلٌ بَاسِقَاتٌ   قَدْ دَنَا مِنْهَا صِرَامُ
أَنْتَ عِنْدِي عَرَبِيٌّ   عَرَبِيٌّ وَٱلسَّلَامُ

وأنشدني أبو جعفر مولى آل سُليمان بن عليّ لمخلّد في أبي تمّام [السريع] ١١٥

اُنْظُرْ إِلَيْهِ وَإِلَى خُبْثِهِ   كَيْفَ تَطَايَا وَهْوَ مَنْشُورُ
ثُمَّ عَلَى طَاقٍ شَخِيتِ ٱلْقُوَى   نِسْبَتُهُ وَٱللُّؤْمُ مَضْفُورُ
وَتِلْكَ مَنْ دَلَّاكَ فِي نِسْبَةٍ   قَلْبُكَ مِنْهَا ٱلدَّهْرَ مَذْعُورُ
لَوْ ذُكِرَتْ طَاءٌ عَلَى فَرْسَخٍ   أَظْلَمَ فِي نَاظِرِكَ ٱلنُّورُ

١ ا: أَجَإِيٌّ، وهي لغة لأَجْأى ولعلّه إِجْأَوَيٌّ. ٢ ا: (نبع) غير واضحة. ٣ ا: ضمغ.

وأنشدني أبو سليمان الضرير لمخلّد في أبي تمّام [الرجز] ١،١١٦

لَوِ ٱمْتَخَطَتْ وَبْرَةً وَضَبَّا وَٱمْتَشَّتِ ٱلْيَرْبُوعَ نِيًّا صُلْبَا
وَٱمْتَصَّتِ ٱلْحَنْظَلَ غَضًّا رَطْبَا وَلَمْ تَذُقْ مَاءً نُقَاخًا عَذْبَا
وَبُلْتَ بَوْلَ جَمَلٍ قَدْ هَبَّا وَلَمْ تَرُمْ إِلَّا ٱلْجِمَالَ كَسْبَا
ثُمَّ قَعَدْتَ ٱلْقُرْفُصَا مُنْكَبَّا تَحْكِي عَرَابِيَّ فَلَاةٍ قُلْبَا
إِنْ دَخَلَ ٱلْإِيوَانَ صَاحَ ٱلْكَرْبَا حَتَّى يَحُلَّ جَعْجَعَانًا رَحْبَا
وَلَوْ نَكَحْتَ حِمْيَرًا وَكَلْبَا وَقَيْسَ عَيْلَانَ ٱلْكِرَامَ ٱلْغُلْبَا
بِٱلشَّامِ حَيْثُ زَجْرُهَا يُلَبَّى لَا حَيْثُ أَضْحَى ٱلنَّسَبُ ٱلْمُرَبَّى
يُصْبِحُ عَبْدًا وَيَرُوحُ رَبَّا ثُمَّ ٱتَّخَذْتَ ٱللَّاتَ فِينَا رَبَّا
وَلَمْ تُسَمِّ ٱلْقُطْنَ إِلَّا عُطْنَا وَقُلْتَ لِلْعَيْرِ ٱلْبَلِيدِ حَوْبَا
مَا كُنْتَ إِلَّا نَبَطِيًّا قَلْبَا لَوْ نَقَرَ ٱلصَّخْرَ أَفَاضَ غَرْبَا
حَتَّى يُسِيحَ لِلنَّبَاتِ شِرْبَا وَيُنْبِتَ ٱلْحَبَّ بِهِ وَٱلْقَضْبَا
هَيَّجْتَ مِنِّي شَاعِرًا أَرَبَّا يُدِيرُ فِي فِيهِ حُسَامًا عَضْبَا
مُهَنَّدًا مَدَّاحَةً مِسَبَّا يَلْحَبُ أَعْرَاضَ ٱللِّئَامِ لَحْبَا

وهذا الفنّ قد سُبق مخلّد إليه. قال أبو نواس في أبي خالد الفارسيّ وخرج إلى البدو ٢،١١٦ شهرين فصار نُمَيْرِيًّا وعاد فأنكر الميازيب فقال ما هذه الخراطيم التي لا أعرفها؟ فقال فيه أبو نواس [السريع]

يَا رَاكِبًا أَقْبَلَ مِنْ ثَهْمَدٍ كَيْفَ تَرَكْتَ ٱلْإِبْلَ وَٱلشَّاءَ
وَكَيْفَ خَلَّفْتَ لِوَى قَعْنَبٍ حَيْثُ تَرَى ٱلتَّنُّومَ وَٱلْآءَ
جَاءَ مِنَ ٱلْبَدْوِ أَبُو خَالِدٍ وَلَمْ يَزَلْ بِٱلْمِصْرِ تَنَّاءَ
يَعْرِفُ لِلنَّارِ أَبُو خَالِدٍ سِوَى ٱسْمِهَا فِي ٱلنَّاسِ أَسْمَاءَ
إِذَا دَعَا ٱلصَّاحِبَ يَهْيَا بِهِ وَيُتْبِعُ ٱلْيَهْيَاءَ يَهْيَاءَ

لَوْ كُنْتَ مِنْ فَاكِهَةٍ تُشْتَهَى   لِطِيبِهَا كُنْتَ ٱلْغُبَيْرَاءَ
لَا تَعْبُرُ ٱلْحَلْقَ إِلَى دَاخِلٍ   حَتَّى تَحَسَّى فَوْقَهَا ٱلْمَاءَ

وقد سُبق أبو نواس أيضاً إلى هذا حدّثني مُسَبِّح بن حاتم العُكْليّ قال حدّثني يعقوب ابن جعفر قال ٣،١١٦

أمر إسماعيل بن عليّ لحمّاد عَجْرَد بخمسة آلاف درهم فمطله بها كاتبُه محمّد بن نوح فقال فيه حمّاد [السريع]

قَالَ ٱبْنُ نُوحٍ لِي وَقَدْ   أَظْهَرَ بَعْضَ ٱلْغَضَبِ
أَنْتَ ٱلَّذِي نَفَيْتَنِي   فِي ٱلشِّعْرِ عَنْ نُوحٍ أَبِي
فَقُلْتُ لَا لَا تَرْمِنِي   مِنْكَ بِمَحْضِ ٱلْكَذِبِ
وَيْحَكَ لَمْ أَفْعَلْ وَإِنْ   كُنْتَ سَقِيمَ ٱلْحَسَبِ
لَكِنَّنِي كُنْتُ فَتًى   عَلَّامَةً بِالنَّسَبِ
فَقُلْتَ لِي نُوحٌ أَبِي   فَقُلْتُ جَاوِزْ بِأَبِ
فَلَمْ تُجَاوِزْهُ وَفِي   ذٰلِكَ بَعْضُ ٱلرِّيَبِ
فَيَا ٱبْنَ نُوحٍ يَا أَخَا ٱلْ   حِلْسِ وَيَا ٱبْنَ ٱلْقَتَبِ
وَمَنْ نَشَا وَالِدُهُ   بَيْنَ ٱلرُّبَى وَٱلْكُثُبِ
يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي   يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي

ولمّا مات أبو تمّام رثاه مخلّد بهجاء فقال [البسيط] ١١٧

سَقَتْ حِتَارَكَ يَا طَائِيُّ غَادِيَةٌ   مِنَ ٱلْمَنِيِّ وَقُطْعَانٌ مِنَ ٱلْكَمَرِ
فَنَوْءُ جُرْدَانَ أَشْهَى لَا أَشُكُّ بِهِ   إِلَى حِتَارِكَ مِنْ نَوْئَيْنِ مِنْ مَطَرِ
حَرُّ ٱلْحُلَاقِ وَبَرْدُ ٱلشِّعْرِ أَتْلَفَهُ   فَجَاءَهُ ٱلْمَوْتُ مِنْ حَرٍّ وَمِنْ خَصَرِ

١١٨ وكان أبو تمّام لا يجيب هاجياً له لأنّه كان لا يراه نظيراً ولا يشتغل به. حدّثني أبو العَشائِر الأَزْديّ الشاعر قال حدّثني أبي قال

قلت لأبي تمّام ويحك قد فضحنا هذا الموصليّ بهجائك فأجبه.

قال إنّ جوابي يرفع منه وأستدرّ به سبّه وإذا أمسكت عنه سكتت شقشقته وما فيّ فضل مع هذا عن مدح من أجتديه.

١١٩ وقال فيه مُخَلَّد [الرمل]

يَا نَبِيَّ ٱللّٰهِ فِي ٱلشِّعْـ ـرِ وَيَا عِيسَى بْنَ مَرْيَـمْ
أَنْتَ مِنْ أَشْعَرِ خَلْقِ ٱللّٰـ ـهِ مَـا لَمْ تَتَكَلَّمْ

١٢٠ وقد هجا أبا تمّام من هو أشعر من مخلّد. حدّثني محمّد بن موسى الهاشميّ وأبو الرَّبيع المِنقَريّ قالا

عزم أبو تمّام على الانحدار إلى البصرة والأهواز لمدح من بهما فبلغ ذلك عبد الصمد بن المعذّل فكتب إليه [الخفيف]

أَنْتَ بَيْنَ ٱثْنَتَيْنِ تَغْدُو[1] مَعَ ٱلنَّا سِ وَكِلْتَاهُمَا بِوَجْهٍ مُذَالِ
لَسْتَ تَنْفَكُّ طَالِبًا لِوِصَالٍ مِنْ حَبِيبٍ أَوْ طَالِبًا لِنَوَالِ
أَيُّ مَاءٍ لِمَاءِ وَجْهِكَ يَبْقَى بَعْدَ ذُلِّ ٱلْهَوَى وَذُلِّ ٱلسُّؤَالِ

فلمّا قرأ الشعر قال قد شغل هذا ما يليه فلا أرب لنا فيه وأضرب عن عزمه.

١٢١ وجدت في كتبي وقال الوليد يهجو أبا تمّام وهي قصيدة اخترت منها [البسيط]

---

١ ا: تغدوا.

دَعِ ٱلْهِجَاءَ فَإِنَّ ٱللّٰهَ حَرَّمَهُ ⁂ وَٱقْصِدْ إِلَى ٱلْحَقِّ إِنَّ ٱلْحَقَّ مُتَّسِعُ
وَٱذْكُرْ حَبِيبَ بْنَ أَوْشُونَا وَدِعْوَتَهُ ⁂ فَإِنَّ طَيًّا إِذَا سُبُّوا بِهِ جَزِعُوا
إِنْ يَقْبَلُوكَ أَبَا ٱلنُّقْصَانِ يَحْتَقِبُوا ⁂ عَارًا وَتَخْفِضْ[1] مِنْهُمْ كُلَّ مَا رَفَعُوا
لَوْ أَنَّ عَبْدَ مَنَافٍ فِي أَرُومَتِهِمْ ⁂ تَقَبَّلُوكَ لَمَا ضَرُّوا وَلَا نَفَعُوا
وَإِنْ نَفَوْكَ كَمَا يَنْفُونَ كَلْبَهُمُ ⁂ عَنِ ٱلصَّمِيمِ أَصَابُوا ٱلْحَقَّ وَٱنْتَفَعُوا
إِنْ يَرْقَعُوا بِكَ خَرْقًا فِي أَدِيمِهِمُ ⁂ قَالَ ٱلْعِبَادُ جَمِيعًا بِئْسَمَا رَقَعُوا
مِرْبَاعُ قَوْمِكَ نَاقُوسٌ وَشَمْعَلَةٌ ⁂ فَٱذْكُرْ مَرَابِيعَهُمْ فِيهَا إِذَا ٱرْتَبَعُوا
وَلَوْ تُنَاطُ بِطَيٍّ كُلُّ مُخْزِيَةٍ ⁂ لَكُنْتَ أَخْزَى لَهُمْ مِنْهَا إِذَا ٱجْتَمَعُوا
إِنِّي هَجَوْتُكَ عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ ⁂ بِأَنَّ شِعْرَكَ قَدْ أَوْدَى بِهِ ٱلْفَزَعُ
إِنَّ ٱلْقُرُومَ إِذَا أَبْدَتْ شَقَاشِقَهَا ⁂ لِلْهَدْرِ لَمْ يَدْنُ مِنْ أَعْطَانِهَا ٱلْهُبَعُ

---

١ ا: تخفض.

ما روي مِن معائب أبي تمّام

حدّثني هارون بن عبد الله المهلّبيّ قال ١،١٢٢
سئل دعبل عن أبي تمّام قال ثلث شعره سرقة وثلثه غثّ وثلثه صالح.

وقال محمّد بن داود حدّثني ابن أبي خَيْثَمَة قال ٢،١٢٢

سمعت دعبلاً يقول لم يكن أبو تمّام شاعرًا إنّما كان خطيباً وشعره بالكلام أشبه منه بالشعر.

قال وكان يميل عليه ولم يدخله في كتابه كتاب الشعراء.

وحكي أنّ ابن الأعرابيّ قال وقد أُنشد شعرًا لأبي تمّام ١٢٣

إن كان هذا شعرًا فما قالته العرب باطل.

حدّثني محمّد بن الحسن اليَشْكُريّ قال ١٢٤

أُنشد أبو حاتم السِّجستانيّ شعرًا لأبي تمّام فاستحسن بعضه واستقبح بعضاً وجعل الذي يقرؤه يسأله عن معانيه فلا يعرفها أبو حاتم فقال ما أشبّه شعر هذا الرجل إلّا بثياب مُصقَلات خلقان لها روعة وليس لها مُفتَّش.

حدّثني القاسم بن إسماعيل قال ١٢٥

كنّا عند التوّجيّ فجاء ابنٌ لأبي رُهْم السَّدوسيّ فأنشده قصيدة لأبي تمّام يمدح بها خالد بن يزيد أوّلها [الكامل]

طَلَلَ ٱلْجَمِيعِ لَقَـدْ عَفَوْتَ حَمِيـدَا   وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِـذَاكَ شَهِيدَا

قال فجعل يضطرب فيها وكنت عالمًا بشعره فجعلت أقوّمه. فلمّا فرغ قال يا أبا محمّد كيف ترى هذا الشعر؟

فقال فيه ما أستحسنه وفيه ما لا أعرفه ولم أسمع بمثله فإمّا أن يكون هذا الرجل أشعر الناس جميعاً وإمّا أن يكون الناس جميعاً أشعر منه.

وحكي عن ابن مهرويه عن أبي هِفّان قال ١٢٦

قلت لأبي تمّام تعمد إلى درّة فتلقيها في بحر خُرءٍ[١] فمن يخرجها غيرك؟

حدّثني أبو صالح الكاتب قال سمعت أبا العَنْبَس يقول وكان جاراً لي ١،١٢٧

راسل أبو تمّام أمّ البحتريّ في التزويج بها فأجابته وقالت له اجمع الناسَ للإملاك.

فقال الله أجلّ من أن يُذكر بيننا ولكن نتماسح ونتسافح فكان معها بلا نكاح.

وهذا إنّما كذبه أبو العنبس واحتذى به حديثاً حدّثه به الكُدَيْميّ عن الأصمعيّ قال ٢،١٢٧

جاء أسود وسوداء إلى أبي مَهْدِيَّةَ فقالا له قد أردنا التزويج فاخطب لنا فقال إنّ الله أجلّ من أن يُذكر بينكما فاذهبا فاصطحكّا لعنكما الله.

وقال قوم هو حبيب بن تَدوس النصرانيّ فغُيّر فصُيّر أَوْساً. ١٢٨

حدّثنا جماعة عن ابن الدقّاق قال ١٢٩

قرأنا على أبي تمّام أرجوزة أبي نواس التي مدح بها الفضل بن ربيع

---

١ ا: حر.

وَبَلْدَةٍ فِيهَا زَوَرْ

فاستحسنها وقال سأروض نفسي في عمل نحوها فجعل يخرج إلى الجنينة ويشتغل بما يعمله ويجلس على ماء جارٍ ثمّ ينصرف بالعشيّ فعمل ذلك ثلاثة أيّام ثمّ خرّق ما عمل وقال لم أرض ما جاءني.

حدّثني أحمد بن سعيد قال حدّثنا محمّد بن عمرو قال ١٣٠
قال ابن الخثعميّ الشاعر جُنّ أبو تمّام في قوله [الطويل]

تَـرُوحُ عَـلَيْنا كُلَّ يَوْمٍ وَتَغْـتَدِي   خُطُوبٌ يَكَادُ ٱلدَّهْرُ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ

أَيُصْرَعُ الدهرُ؟ قال فقلت له هذا بشّار يقول [الطويل]

وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَٱلزَّمَـانِ إِذَا صَحَا   صَحَوْتُ وَإِنْ مَـاقَ ٱلزَّمَـانُ أَمُوقُ

قال فسكتَ قال فقلت له وأبوك يقول [الطويل]

وَلَيِّنَ ـــلِي دَهْـرِي بِأَتْبَـاعِ جُودِهِ   فَكِدْتُ لِلِينِ ٱلدَّهْرِ أَنْ أَعْقِدَ ٱلدَّهْرَا

الدهر يُعقد؟ قال فسكت.

وقال محمّد بن عبد الملك بن صالح يهجو أبا تمّام [المنسرح] ١٣١

قَـدْ جَـاءَنِي وَٱلْمَقَـالُ مُخْتَلِفٌ   شِـعْـرُ أَبِي نَاقِـصٍ عَلَى بُعُـدِهْ
فَكَانَ كَٱلسَّهْمِ صَافَ عَنْ سَدَدِ ٱلْـ   قَوْلِـــ وَعَنْ قَصْدِهِ وَعَنْ أَمَـدِهْ

ما رواه أبو تمّام

حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني أبو بكر محمّد بن إبراهيم بن عَتّاب قال حدّثني أبو تمّام الطائيّ قال ١٣٢

مرّ الطِّرِمّاح بمسجد البصرة وهو يخطر في مِشيته فقال رجل من هذا الخطّار؟ فقال أنا الذي أقول [الطويل]

لَقَدْ زَادَنِي حُبّاً لِنَفْسِيَ أَنَّنِي   بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ ٱمْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ
إِذَا مَا رَآنِي قَطَّعَ ٱلطَّرْفَ دُونَهُ   وَدُونِي فِعْلَ ٱلْعَارِفِ ٱلْمُتَجَاهِلِ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ ٱلْأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا   مِنَ ٱلضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلِ

حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدّثني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أبو تمّام حبيب بن أوس الطائيّ قال حدّثنا العَطّاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دمشق وكان فيمن تولّى قتل الوليد بن يزيد قال ١٣٣

إنّي لفي مجلس يزيد بن الوليد الناقص إذ حدّثه رجل فكذبه فعلم يزيد أنّه قد كذبه فقال له يا هذا إنّك تكذب نفسك قبل أن تكذب جليسك.

قال فما زلنا نعرف الرجل بعد ذلك إلّا بالتوقّي.

حدّثنا أحمد بن يزيد قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أبو تمّام قال حدّثني شيخ من الحيّ قال ١٣٤،١

كان فينا رجل شريف فأتلف ماله في الجود فصار بعدُ لا يفي فقيل له أصرت كذّاباً؟

فقال نصرة الصدق أفضت بي إلى الكذب.

قال أبو بكر فنقل هذا ابن أبي طاهر شعرًا له فقال [البسيط] ٢،١٣٤

قَدْ كُنْتُ أُنْجِزُ دَهْرًا مَا وَعَدْتُ إِلَى   أَنْ أَتْلَفَ ٱلدَّهْرُ مَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبِ
فَإِنْ أَكُنْ صِرْتُ فِي وَعْدِي أَخَا كَذِبٍ   فَنُصْرَةُ ٱلصِّدْقِ أَفْضَتْ بِي إِلَى ٱلْكَذِبِ

حدّثنا أحمد بن يزيد قال حدّثنا ابن أبي طاهر قال حدّثني أبو تمّام قال حدّثني كَرامَة بن أبان العَدَويّ قال حدّثني رجل من عامِلة من بني زَهْدَم قال ١٣٥

قال عَديّ بن الرِّقاع ما أَسمعتُ عمر بن الوليد بن عبد الملك مديحًا قطّ إلّا كدت أسمع حديث نفسه بحبائي.

قال فوالله إنّي بعد هذا الحديث لفي مجلس عمر إذ دخل عليه عديّ فأنشده شعرًا فيه فدعا مولًى له فقال هات نقيضة هذه القصيدة. فظننت أنّه ينشده شعرًا فأتى ببدرة فيها عشرة آلاف درهم فدفعها إليه.

حدّثنا أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أبو تمّام قال حدّثني أبو عبد الرحمن الأُمَويّ قال ١٣٦

وصف ابن لِسان الحُمَّرة وهو ربيعة بن حِصْن من بني تَيْم اللّات بن ثَعْلَبَة قومًا بالعيّ فقال منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل إلى لسانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه ومنهم من يقتسر الآذان فيحمّلها إلى الأذهان عِبأً ثقيلاً.

حدّثني أحمد قال حدّثني أحمد قال حدّثني أبو تمّام قال ١٣٧

كان يزيد بن الحصين بن تميم السكونيّ لا يعطي فإذا أعطى أعطى كثيرًا ويقول أحبّ أن تكون مواهبي كتائبَ كتائبَ ولا أحبّ أن تكون مقانبَ مقانبَ.

١٣٨ حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا ابو تمّام عن رجل من كلب قال

كنت مع يزيد بن حاتِم بإفريقية فاعترض دروعًا وبالغ فيها وكانت جيادًا فقيل له في ذلك فقال إنّما أشتري أعمارًا لا دروعًا.

١٣٩ حدّثني أحمد بن يزيد قال حدّثنا أبي عن عمّه حبيب بن المُهلَّب قال

ما رأيت قطّ رجلاً مستلئمًا في حرب إلّا كان عندي بمنزلة رجلين اثنين ولا رأيت رجلين حاسرين في حرب قطّ إلّا كانا عندي بمنزلة رجل واحد.

١،١٤٠ حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا أبو تمّام قال حدّثني كَرامة قال

قدم رجل من ولد مَعْدان بن عُبيد المَعْنيّ من عند البرامكة فقلنا له كيف تركتهم؟ فقال تركتهم وقد أنستْ بهم النعمة حتّى كأنّها بعضهم.

٢،١٤٠ قال أبو تمّام قال كَرامة

فحدّثت بهذا ثَعْلَبَةَ بن الضحّاك العامِليّ فقال لقد سمعت من بعض أعرابكم نحوًا من هذا قدم علينا غَسّان بن عبد الله بن خَيْبَريّ في عُنفوان خلافة هشام فرأى آل خالد القَسْرِيّ فقال إنّي أرى النعمة قد لصقت بهؤلاء القوم حتّى كأنّها من ثيابهم.
قلت فإن صاحب هذا الكلام ابن عمّ صاحب الحديث فيما أرى أما ترى كلامه ابنَ عمّ كلامه؟

١٤١ حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا أبو تمّام قال حدّثنا كَرامة قال

تكلّم رجل في مجلس الهَيْثَم بن صالح فهذر ولم يُصب فقال يا هذا بكلام أمثالك رُزق الصمت المحبّة.

١٤٢ حدّثنا أحمد بن يزيد قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا أبو تمّام قال حدّثني سَلامة بن جابِر النَّهْديّ قال

سمعت أعرابيّاً يصف قوماً لبسوا النعمة ثمّ عَروا منها فقال ما كانت نعمة آل فلان إلّا طيفاً ولّى مع انتباههم.

١٤٣ حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا أبو تمّام عن سَلامةَ بن جابر قال

سأل هِشام أَسَدَ بن عبد الله القَسْريّ عن نَصْر بن سَيّار وكان عدوّه فقال ذلك رجل محاسنه أكثر من مساويه لا يضرب طبقةً إلّا انتصف منها. لا يأتي أمرًا يُعتذر منه. قسم أخلاقَه بين أيّام الفضل فجعل لكلّ خُلُق نوبةً لا يدري أيُّ أحواله أحسن ما هداه إليه عقله أو ما كسبه إيّاه أدبه.

فقال هشام لقد مدحتَه على سوء رأيك فيه.

فقال نعم لأنّي فيما يسألني أمير المؤمنين عنه كما قال الشاعر [الوافر]

كَفَى ثَمَنًا لِمَا أَسْدَيْتَ أَنِّي صَدَقْتُكَ فِي ٱلصَّدِيقِ وَفِي عِدَايَ
وَأَنِّي حِينَ تَنْدُبُنِي لِأَمْرٍ يَكُونُ هَوَاكَ أَغْلَبَ مِنْ هَوَايَ

قال ذاك الظنّ بك.

١٤٤ حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا أبو تمّام قال حدّثني محمّد بن خالد الشَّيْبانيّ قال

قال رجل يوماً لرَقَبَة بن مَصْقَلة العَبْديّ من أيّ شيء كثرة شكّك؟

قال من مُحاماتي عن اليقين.

١٤٥ حدّثنا أحمد بن يزيد قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أبو تمّام قال حدّثني أبو عبد الرحمن الأُمويّ قال

ذُكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمّه أهل المجلس فقال سليمان كلّا إنّ من تكلّم فأحسن قدر على أن يسكت فيحسن وليس كلّ من سكت فأحسن قدر أن يتكلّم فيحسن.

١٤٦ حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أبو تمّام قال حدّثني شيخ مِن بني عَدِيّ بن عمرو وقال

نزلتْ عندنا أحوية من طيّئ فكنت أتحدّث إلى فتًى يتحدّث إلى ابنة عمّ له وهو من أقرح الناس كبدًا فسار فريقها الأدنى إلى الغور وغبر في أهل بيته فاشتدّ جزعه. فقال يا ابن عمّ إنّ الصبر عن المحبوب أشدّ من الصبر على المكروه.

١٤٧ حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني حبيب بن أوس الطائيّ قال حدّثنا قِلابَة الجَرْمِيّ قال

قال يزيد بن المهلّب يومًا لجلسائه أراكم تعنّفوني في الإقدام.

قالوا نعم والله إنّك لترمي بنفسك في المهالك.

فقال إليكم عنّي فوالله لو لم آت الموت مسترسلًا لأتاني مستعجلًا إنّي لست آتي الموت من حبّه إنّما آتيه من بغضه. وقد أحسن الحُصَيْن بن الحُمام المُرّيّ حيث يقول [الطويل]

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي ٱلْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ   حَيَاةً لِنَفْسِي مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

١٤٨ حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد عن أبي تمّام قال

قال رجل من بني عمرو بن تميم يزعم الناس أنّ السّيوف مأمورة تقطع وتكهم والله ما رأيت يزيد بن المهلّب قطّ فنبا سيفه. فقال ثابِت قُطْنة والله لو لم تكن السيوف مأمورةً لصيّرتها يدُ يزيد مأمورةً.

حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمّام قال حدّثني مالك بن دَلْهَم عن ابن الكَلْبيّ قال ١٤٩

مات ابنٌ لأَرْطاة بن سُهَيّة المُرّيّ يقال له عمرو، وسُهَيّة أمّ أرطاة وأبوه زُفَر أحد بني مُرّة في زمن معاوية، فجزع عليه حتّى ذهب عقله أو قارب فوقف على قبره فقال

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ ٱبْنِ سَلْمَى فَلَمْ يَكُنْ … وُقُوفِي عَلَيْهِ غَيْرَ مَبْكًى وَمَجْزَعِ
عَنِ ٱلدَّهْرِ فَٱصْفَحْ[1] إِنَّهُ غَيْرُ مُعْتَبٍ … وَفِي غَيْرِ مَنْ قَدْ وَارَتِ ٱلْأَرْضُ فَٱطْمَعِ
هَلِ ٱنْتَ ٱبْنَ سَلْمَى إِنْ نَظَرْتُكَ رَائِحٌ … مَعَ ٱلْقَوْمِ أَوْ غَادٍ غَدَاةَ[2] غَدٍ مَعِي

حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا أبو تمّام قال ١٥٠

تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز التّنوخيّ وحسنه والصمت ونبله فقال ليس النجم كالقمر إنّما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكثر منه.

حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا أبو تمّام قال حدّثني أبو عبد الرحمن الأُمَويّ قال ١٥١

تكلّم رجل عند هشام فأحسن فقال هشام إنّ أحسن الحديث ما أحدث بالقلوب عهداً.

حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا حبيب بن أوس قال حدّثني عمرو بن هاشم السَّرَوِيّ قال ١٥٢

١ ا: على الدهر فاعتِبْ. ٢ ا: عداه.

تحدّثنا عند محمّد بن عمرو الأَوزاعيّ، الأَوزاع من حِمْيَر، ومعنا أعرابيّ من بني عُلَيْم بن جَناب لا يتكلّم. فقلنا له بحقّ ما سُمّيتم خُرس العرب ألا تحدّث القوم؟

فقال إنّ الحظّ للمرء في أذنه وإنّ الحظّ في لسانه لغيره.

فقال الأوزاعيّ وأبيه لقد أحسن.

حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا أبو تمّام قال ١٥٣

قال رجل لرجل ما أحسن حديثك.

فقال له إنّما حسّنه حسن جوار سمعك.

حدّثنا أحمد قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أبو تمّام قال حدّثني يحيى بن إسماعيل الأُمَويّ قال حدّثني إسماعيل بن عبد الله قال ١٥٤

قال جدّي الصمتُ منامُ العقل والنطقُ يقظتُه ولا منامَ إلّا بيقظة ولا يقظةَ إلّا بمنام.

صفة أبي تمّام وأخبار أهله

حدّثني عَوْن بن محمّد قال ١٥٥

كان أبو تمّام طُوالاً وكانت فيه تمتمة يسيرة وكان حلو الكلام فصيحاً كأنّ لفظه لفظ الأعراب.

حدّثني عليّ بن الحسن الكاتب قال ١٥٦

رأيت أبا تمّام وأنا صبيّ صغير فكان أسمر طُوالاً.

حدّثني أحمد بن يزيد المُهَلَّبيّ قال ١٥٧

كنت جالساً مع ابن عَتّاب فمرّ بنا رجل من الكُتّاب فجلس إلينا وكان فصيحاً مليح الحديث فأطال معنا ثمّ قام فقال لي ابن عتّاب ما رأيت رجلاً أشبه لفظاً بأبي تمّام من هذا إلّا حُبْسة قليلة كانت في لسان أبي تمّام.

حدّثني عبد الله بن عبد الله قال ١٥٨

كان لأبي تمّام أخ يقال له سَهْم وكان يقول الشعر فمن شعره [الطويل]

وَنَازَعْتُهُ شَيْئًا إِلَيْهِ مُبَغَّضاً   فَلَمَّا رَأَى وَجْدِي بِهِ صَارَ يَعْشَقُهْ
فَدَعْهُ وَلَا تَحْزَنْ عَلَى فَائِزٍ بِهِ   فَإِنَّ جَدِيدَاتِ ٱللَّيَالِي سَتُخْلِقُهْ

حدّثني سوّار بن أبي شراعة قال حدّثني البحتريّ قال ١٥٩

كان لأبي تمّام أخ يقال له سَهْم وكان يقول شعرًا دونًا فجاء إلى أبي تمّام يستميحه فقال له والله ما يفضل عنّي شيء ولكنّي أحتال لك فكتب إلى يحيى بن عبد الله بقصيدة أوّلها [الكامل]

إِحْدَى بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاهِ   بَيْنَ ٱلْكَثِيبِ ٱلْفَرْدِ فَٱلْأَمْوَاهِ

فقال فيها

سَهْمُ بْنُ أَوْسٍ فِي ضَمَانِكَ وَاثِقٌ[١]   أَنْ لَسْتَ بِٱلنَّاسِي وَلَا بِٱلسَّاهِي
أَجْزِلْ لَهُ ٱلْحَظَّيْنِ مِنْكَ وَكُنْ لَهُ   رُكْنًا عَلَى ٱلْأَيَّامِ لَيْسَ بِوَاهِي
بِوِلَايَتَيْنِ وِلَايَةٍ مَشْهُورَةٍ   فِي كُورَةٍ وَوِلَايَةٍ بِٱلْجَاهِ
هُوَ فِي ٱلْغِنَى غَرْسِي وَغَرْسُكَ فِي ٱلْعُلَا   أَنْ أَرَدْتَ وَأَنْتَ غَرْسُ ٱللهِ

حدّثني أحمد بن إسماعيل قال حدّثني أبو سَهْل الرازيّ قال ١٦٠

لمّا ولي محمّد بن طاهر خراسان دخل الناس لتهنئته فكان فيهم تمّام بن أبي تمّام الطائيّ فأنشده [الكامل]

هَنَاكَ رَبُّ ٱلنَّاسِ هَنَّاكَا   مَا مِنْ جَزِيلِ ٱلْمُلْكِ أَعْطَاكَا
قَرَّتْ بِمَا أُعْطِيتَ يَا ذَا ٱلْحِجَى   وَٱلْبَاسِ وَٱلْإِنْعَامِ عَيْنَاكَا
أَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِمَا نِلْتَهُ   وَأَوْرَقَ ٱلْعُودُ لِنَجْوَاكَا

فاستضعفت الجماعة شعره وقالوا يا بُعدَ ما بينه وبين أبيه. فقال محمّد لعبد الله بن إسحاق وكان يعرّفه الناس وهو على أمره قل لبعض شعرائنا أجِبْه فغمز رجلاً في المجلس فأقبل على تمّام فقال [الكامل]

---

١ ا: واثقًا.

حَيَّاكَ رَبُّ ٱلنَّاسِ حَيَّاكَا   إِنَّ ٱلَّذِي أَمَّلْتَ أَخْطَاكَا
مَدَحْتَ خِرْقًا مُنْهِبًا مَالَهُ   وَلَوْ رَأَى مَدْحًا لَوَاسَاكَا
فَهَاكَ إِنْ شِئْتَ بِهَا مِدْحَةً   مِثْلَ ٱلَّذِي أَعْطَيْتَ أَعْطَاكَا

فقال تمّام أعزّ الله الأمير إنّ الشعر بالشعر رِبًا فاجعل بينهما رَضْخًا من دراهم حتّى يحلّ لي ولك. فضحك محمّد وقال إن لم يكن معه شعر أبيه فمعه ظرف أبيه أعطوه ثلاثة آلاف درهم. فقال عبد الله بن إسحاق ولقول أبيه في الأمير عبد الله ابن طاهر [البسيط]

أَمَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ تَنْوِي أَنْ تَؤُمَّ بِنَا   فَقُلْتُ كَلَّا وَلٰكِنْ مَطْلِعَ ٱلْجُودِ

ثلاثة آلاف أخرى. قال ويعطى ذلك.

أخبار لأبي تمّام متفرّقة

١،١٦١ حدّثني أبو جعفر أحمد بن يزيد المُهلَّبيّ قال حدّثني محمّد بن القاسم بن مهرويه وقد كان ابن مهرويه هذا يسمع معنا من المُغيرَة بن محمّد المهلّبيّ وغيره بالبصرة ولم أسمع منه شيئاً عن الحَمْدَويّ قال

٢،١٦١ سمعت أبا تمّام يقول أنا كقولي [الكامل]

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ ٱلْهَوَى   مَا ٱلْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ ٱلْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْلَفُهُ ٱلْفَتَى   وَحَنِينُهُ أَبَداً لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

٣،١٦١ وحكى محمّد بن داود هذا الشعر في كتابه وقال

أخذه من قول ابن الطَّثْرِيَّة [الطويل]

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ ٱلْهَوَى   فَصَادَفَ قَلْبًا فَارِغًا فَتَمَكَّنَا

وهو عندي بقول كُثَيِّر أشبه ومنه أخذه [الطويل]

إِذَا وَصَلَتْنَا خُلَّةٌ لِتُزِيلَهَا   أَبَيْنَا وَقُلْنَا ٱلْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ

٤،١٦١ وهو يتعلّق أيضاً بما قاله من جهة. حدّثنا أحمد بن يزيد المُهَلَّبيّ قال حدّثنا أبي قال أنشدت يوماً لجرير [الطويل]

وَمَا زَالَ مَعْقُولاً عِقَالٌ عَنِ ٱلنَّدَى   وَمَا زَالَ مَحْبُوساً عَنِ ٱلْخَيْرِ حَابِسُ

حكى محمّد بن داود أنّ أبا عبد الله أحمد بن محمّد الخَثْعَميّ الكوفيّ قال لأبي تمّام وقد اجتمعا ١٦٢
فقام أبو تمّام إلى الخلاء أتَدَخَّلُكَ؟ فقال نعم لا نَحْمِلُك

حدّثني أحمد بن موسى قال أخبرني أبو الغَمْر الأنصاريّ عن عمرو بن أبي قَطيفَة قال ١٦٣
رأيت أبا تمّام في النوم فقلت له لِمَ ابتدأت بقولك [الطويل]

كَذَا فَلْيَجِلَّ ٱلْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ ٱلْأَمْرُ

فقال لي ترك الناس بيتاً قبل هذا إنّما قلت

حَرَامٌ لِعَيْنٍ أَنْ تَجِفَّ لَهَا شُفْرُ ... وَأَنْ تَطْعَمَ ٱلتَّغْمِيضَ[1] مَا أَمْتَعَ ٱلدَّهْرُ
كَذَا فَلْيَجِلَّ . . .

حدّثني عليّ بن الحسن الكاتب قال ١٦٤
الذي يقول فيه أبو تمّام [الخفيف]

يَا سَمِيَّ ٱلنَّبِيِّ فِي سُورَةِ ٱلْجِنِّ ... وَيَا ثَانِيَ ٱلْعَزِيزِ بِمِصْرِ

هو عبد الله بن يزيد بن المهلّب الطُّرْهُبانيّ من أهل الأنبار كاتب أبي سَعيد الثَّغْريّ
ثمّ كتب بعده لابنه يوسف.

حدّثني ابن المُتَوَكِّل القَنْطَريّ قال ١٦٥
دخل أبو تمّام إلى نَصْر بن منصور فأنشده مدحاً له فلمّا بلغ إلى قوله [الطويل]

---

١ ا: اتغميض.

أَسَائِلَ نَصْرٍ لَا تَسَلْهُ فَإِنَّهُ   أَحَنُّ إِلَى ٱلْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى ٱلرِّفْدِ

قال له نصر أنا والله أغار على مدحك أن تضعه في غير موضعه ولئن بقيتُ لأحظرنّ ذلك إلّا على أهله. وأمر له بجائزة سنيّة وكسوة.

قال فمات نصر بعد ذلك في شوّال سنة سبع وعشرين ومائتين.

حدّثنا أحمد بن إسماعيل قال حدّثني من سأل أبا تمّام عن قوله [الخفيف] ١٦٦

غُرْبَةٌ تَقْتَدِي بغُرْبَةِ قَيْسِ بْـ   ـنِ زُهَيْرٍ وَٱلْحَارِثِ بْنِ مُضَاضِ

فقال أمّا غربة قَيْس بن زُهَيْر العَبْسيّ فمشهورة وهذا الحارث بن مُضاض الجُرْهُميّ زوج سيّدة من إسماعيل بن إبراهيم ثمّ تحدّث بحديث طويل قد ذكرناه في شعره عند هذا البيت.

حدّثني محمّد بن البَرْبَريّ قال حدّثني الحسن بن وهب قال ١٦٧

قلت لأبي تمّام أَفَهِم المعتصم بالله من شعرك شيئاً؟

قال استعادني ثلاث مرّات [البسيط]

وَإِنَّ أَسْمَجَ مَنْ تَشْكُو إِلَيْهِ هَوًى   مَنْ كَانَ أَحْسَنَ شَيْءٍ عِنْدَهُ ٱلْعَذَلُ

واستحسنه ثمّ قال لابن أبي دؤاد يا أبا عبد الله الطائيّ بالبصريّين أشبه منه بالشاميّين.

حدّثنا أبو عبد الله الألوسيّ قال أخبرني أبو محمّد الخُزاعيّ المكّيّ صاحب كتاب مكّة ١٦٨
عن الأَزْرَقيّ قال

بلغ دعبلاً أنّ أبا تمّام هجاه عندما قال قصيدته التي ردّ فيها على الكُمَيت وهي [الوافر]

أَفِيقِي مِنْ مَلَامِكِ يَا ظَعِينَا   كَفَاكِ ٱللَّوْمَ مَرُّ ٱلْأَرْبَعِينَا

فقال أبو تمّام [الوافر]

نَقَضْنَا لِلْحُطَيْئَةِ أَلْفَ بَيْتٍ   كَذَاكَ ٱلْحَيُّ يَغْلِبُ أَلْفَ مَيْتِ
وَذٰلِكَ دِعْبِلٌ يَرْجُو سَفَاهًا   وَحُمْقًا أَنْ يَنَالَ مَدَى ٱلْكُمَيْتِ
إِذَا مَا ٱلْحَيُّ نَاقَضَ جِذْمَ قَبْرٍ   فَذٰلِكُمُ ٱبْنُ زَانِيَةٍ بِزَيْتِ

وأنّ دعبلاً قال لمّا بلغته هذه الأبيات [السريع]

يَا عَجَبًا مِنْ شَاعِرٍ مُفْلِقٍ   آبَاؤُهُ فِي طَيِّءٍ تَنْمِي
أَنْبَأْتُهُ يَشْتِمُ مِنْ جَهْلِهِ   أُمِّي وَمَا أَصْبَحَ مِنْ هَمِّي
فَقُلْتُ[1] لٰكِنْ حَبَّذَا أُمُّهُ   طَاهِرَةٌ زَاكِيَةٌ عِلْمِي
أَكْذِبُ وَٱللّٰهِ عَلَى أُمِّهِ   كَكِذْبِهِ أَيْضًا عَلَى أُمِّي

وقد رُويتْ هذه الأبيات التائيّة لأبي سَعْد المَخزوميّ ورُويت الأبيات الميميّة لغير دعبل في أبي تمّام.

١٦٩ وزعم ابن داود أنّ محمّد بن الحسين حدّثه قال

زار الحسن بن وهب وأبو تمّام أبا نَهْشَل بن حُمَيْد فقال أبو تمّام وقد جلسوا [السريع]

أَعَضَّكَ ٱللّٰهُ أَبَا نَهْشَلِ . . .

---

١ ا: فقلتَ.

ثمّ قال للحسن أجِزْ فقال

. . . بِخَدِّ رِيمٍ شَادِنٍ أَكْحَلِ

ثمّ قال لأبي نَهشَل أجِزْ فقال

يُطْمِعُ فِي ٱلْوَصْلِ فَإِنْ رُمْتَهُ   صَارَ مَعَ ٱلْعَيُّوقِ فِي مَنْزِلِ

حدّثنا مَيْمون بن هارون قال حدّثني صالح غلام أبي تمّام قال ١٧٠

غضب عليّ أبو تمّام فكتبت إليه بهذا الشعر وهو أوّل شعر قلته قطّ

إِذَا عَاقَبْتَنِي فِي كُلِّ ذَنْبٍ   فَمَا فَضْلُ ٱلْكَرِيمِ عَلَى ٱللَّئِيمِ
فَإِنْ تَكُنِ ٱلْحَوَادِثُ حَرَّكَتْنِي   فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ يَعْصِفُ بِٱلْهُمُومِ

فجاءني إلى الموضع الذي كنت فيه فترضّاني.

وجدت بخطّ عبد الله بن المعتزّ ١٧١

صار أبو تمّام إلى أحمد بن الخصيب في حاجةٍ له أيّام الواثق فأجلسه إلى أن أصابته الشمس فقال [الطويل]

تَغَافَلَ عَنَّا أَحْمَدٌ مُتَنَاسِيًا   ذِمَامَ عُهُودِ ٱلْمَدْحِ وَٱلشُّكْرِ وَٱلْحَمْدِ
نَمُوتُ مِنَ ٱلْحَرِّ ٱلْمُبَرِّحِ عِنْدَهُ   وَحَاجَاتُنَا قَدْ مِتْنَ مِنْ شِدَّةِ ٱلْبَرْدِ

حدّثني أبو ذكوان قال حدّثني عمّك أحمد بن عبد الله طِماس قال ١٧٢

كنت عند عمّي إبراهيم بن العبّاس فدخل عليه رجل فرفعه حتّى جلس إلى جانبه أو قريباً ثمّ حادثه إلى أن قال له يا أبا تمّام من بقي ممّن يُعتصم به ويُلجأ إليه؟

فقال أنت فلا عُدِمتَ.

قال وكان إبراهيم تامّاً فأنشده [الطويل]

يَمُدُّ نِجَادَ ٱلسَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّهُ   بِأَعْلَى سَنَامَيْ فَالِجٍ يَتَطَوَّحُ
وَيُدْلِجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ   وَيُورِي كَرِيمَاتِ ٱلنَّدَى حِينَ يَقْدَحُ
إِذَا ٱعْتَمَّ بِالْبُرْدِ ٱلْيَمَانِيِّ خِلْتَهُ   هِلَالًا بَدَا فِي جَانِبِ ٱلْأُفْقِ يَلْمَحُ
يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ ٱلرِّجَالِ فَضِيلَةً   وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ

فقال له أنت تُحسن قائلاً وراوياً ومتمثّلاً. فلمّا خرج تبعته فقلت أَمِلَّ عليّ هذه الأبيات فقال هي لأبي الجُوَيْرِيَة العَبْدِيّ يقولها للجُنَيْد بن عبد الرحمن فأخرجتها من شعره.

وفاة أبي تمّام ومبلغ سنّه

١٧٣ حدّثني محمّد بن خَلَف قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال

لمّا مات أبو تمّام قال الواثق لأبي قد غمّني موت الطائيّ الشاعر. فقال طيٌّ بأجمعها فداء أمير المؤمنين والناس طُرًّا ولو جاز أن يتأخّر ميّت عن أجله ثمّ سمع هذا من أمير المؤمنين لما مات.

١٧٤ حدّثني محمّد بن موسى قال

عني الحسن بن وهب بأبي تمّام وكان يكتب لمحمّد بن عبد الملك الزيّات فولّاه بريد الموصل فأقام بها سنة ومات في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائتين ودفن بالموصل.

١٧٥ حدّثني عون بن محمّد الكنديّ قال

قرأت على أبي تمّام شيئًا مِن شعره في سنة سبع وعشرين ومائتين وسمعته يقول مولدي سنة تسعين ومائة.

وأخبرني مخلّد الموصليّ أنّ أبا تمّام مات بالموصل في المحرّم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين[١].

١٧٦ حدّثني أبو سليمان النابُلُسيّ قال

قال تمّام بن أبي تمّام مولد أبي سنة ثمان وثمانين ومائة ومات في سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

---

١ ا: ومائة.

مراثي أبي تمّام

١٧٧ أنشدني أبو الغَوْث لأبيه يرثي أبا تمّام ودعبلاً [الكامل]

قَدْ زَادَ فِي كَلَفِي وَأَوْقَدَ لَوْعَتِي   مَثْوَى حَبِيبٍ يَوْمَ مَاتَ وَدِعْبِلِ
وَبَقَاءُ ضَرْبِ ٱلْخَثْعَمِيِّ وَشِبْهِهِ   مِنْ كُلِّ مُضْطَرِبِ ٱلْقَرِيحَةِ مُهْمِلِ
أَهْلُ ٱلْمَعَانِي ٱلْمُسْتَحِيلَةِ إِنْ هُمُ   طَلَبُوا ٱلْبَدَاعَةَ وَٱلْكَلَامِ ٱلْمُعْضِلِ
أَخَوَيَّ لَا تَزَلِ ٱلسَّمَاءُ مُخِيلَةً   تَغْشَاكُمَا بِحَيًا مُقِيمٍ مُسْبِلِ
جَدَثٌ عَلَى ٱلْأَهْوَازِ يَبْعُدُ دُونَهُ   مَسْرَى ٱلنَّعِيِّ وَرِمَّةٌ بِٱلْمَوْصِلِ

١٧٨ ورثاه الحسن بن وهب فقال [الوافر]

سَقَتْ بِٱلْمَوْصِلِ ٱلْقَبْرَ ٱلْغَرِيبَا   سَحَائِبُ يَنْتَحِبْنَ لَهُ نَحِيبَا
إِذَا أَطْلَعْنَهُ أَطْلَقْنَ فِيهِ   شَعِيبَ ٱلْمُزْنِ مُنْبَعِقًا شَعِيبَا
وَلَطَّمَتِ ٱلْبُرُوقُ لَهَا خُدُودًا   وَشَقَّقَتِ ٱلرُّعُودُ لَهَا جُيُوبَا
فَإِنَّ تُرَابَ ذَاكَ ٱلْقَبْرِ يَحْوِي   حَبِيبًا كَانَ يُدْعَى لِي حَبِيبَا
ظَرِيفًا شَاعِرًا فَطِنًا لَبِيبًا   أَصِيلَ ٱلرَّأْيِ فِي ٱلْجُلَّى أَرِيبَا
إِذَا شَاهَدْتَهُ رَوَّاكَ مِمَّا   يَسُرُّكَ رِقَّةً مِنْهُ وَطِيبَا
أَبَا تَمَّامٍ ٱلطَّائِيَّ إِنَّا   لَقِينَا بَعْدَكَ ٱلْعَجَبَ ٱلْعَجِيبَا
فَقَدْنَا مِنْكَ عِلْقًا لَا تَرَانَا   نُصِيبُ لَهُ مَدَى ٱلدُّنْيَا ضَرِيبَا
وَكُنْتَ أَخًا لَنَا تُدْنِي إِلَيْنَا   صَمِيمَ ٱلْوُدِّ وَٱلنَّسَبَ ٱلْقَرِيبَا
وَكَانَتْ مَذْحِجٌ تُطْوَى عَلَيْنَا   جَمِيعًا ثُمَّ تَنْشُرُنَا شُعُوبَا
فَلَمَّا بِنْتَ نَكَّرَتِ ٱللَّيَالِي   قَرِيبَ ٱلدَّارِ وَٱلْأَقْصَى ٱلْغَرِيبَا

وَأَبْدَى ٱلدَّهْـرُ أَقْبَحَ صَفْحَتَيْهِ وَوَجْـهًا كَالِحًا جَـهْمًا قَـطُوبَا
فَأَحْـرِ بِأَنْ يَطِـيبَ ٱلْمَوْتُ فِيـهِ وَأَحْـرِ بِعِـيشَـةٍ أَلَّا تَطِيـبَا

وقال عليّ بن الجهم يرثيه [الكامل] ١٧٩

غَاضَتْ بَدَائِعُ فِطْنَـةِ ٱلْأَوْهَامِ وَعَـدَتْ عَلَيْـهَا نَكْبَـةُ ٱلْأَيَّامِ
وَغَدَا ٱلْقَرِيـضُ ضَئِيلَ شَخْصٍ بَاكِيًا يَشْكُو[١] رَزِيَّتَـهُ إِلَى ٱلْأَقْلَامِ
وَتَأَوَّهَتْ غُـرَرُ ٱلْقَوَافِي بَعْـدَهُ وَرَمَى ٱلزَّمَـانُ صَحِيحَهَا بِسَقَامِ
أَوْدَى مُثَقِّـفُهَا وَرَائِـضُ صَعْبِهَا وَغَـدِيـرُ رَوْضَتِهَـا أَبُو تَمَّـامِ

وأنشدني أبو جعفر المهلّبيّ وأبو محمّد الهداديّ لأحمد بن يحيى البَلاذُريّ يرثي أبا تمّام ١٨٠
ويهجو أبا مُسلِم بن حُمَيد الطوسيّ [الكامل]

أَمْسَى حَبِيبٌ رَهْنَ قَبْرٍ مُوحِشٍ لَمْ تُـدْفَعِ ٱلْأَقْدَارُ عَنْـهُ بِأَيْدِ
لَمْ يُنْجِـهِ لَمَّـا تَنَـاهَى عُمْـرُهُ أَدَبٌ وَلَمْ يَسْـلَمْ بِقُوَّةِ كَيْـدِ
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو[٢] أَنْ تَنَالَكَ رَحْمَةٌ لَكِنْ أَخَافُ قَرَابَةَ ٱبْنِ حُمَيْـدِ

وقال فيه الحسن بن وهب أيضاً [الكامل] ١٨١

فُجِعَ ٱلْقَرِيـضُ بِخَاتَمِ ٱلشُّـعَرَاءِ وَغَدِيرِ رَوْضَتِهَا حَبِيبِ ٱلطَّائِي
مَـاتَا مَعًـا فَتَجَاوَرَا فِي حُفْـرَةٍ وَكَذَاكَ كَانَا قَبْـلُ فِي ٱلْأَحْيَاءِ

وقال محمّد بن عبد الملك يرثيه وهو وزير [الكامل] ١٨٢،١

١ ا: يشكوا. ٢ ا: ارجوا

نَبَأٌ أَتَى مِنْ أَعْظَمِ ٱلْأَنْبَاءِ   لَمَّا أَلَمَّ مُقَلْقِلُ ٱلْأَحْشَاءِ
قَالُوا حَبِيبٌ قَدْ ثَوَى فَأَجَبْتُهُمْ   نَاشَدْتُكُمْ لَا تَجْعَلُوهُ ٱلطَّائِي

وقال أيضاً [الوافر] ٢،١٨٢

أَلَا لِلّٰهِ مَا جَنَتِ ٱلْخُطُوبُ   تُخُرِّمَ مِنْ أَحِبَّتِنَا حَبِيبُ
فَمَاتَ ٱلشِّعْرُ مِنْ بَعْدِ ٱبْنِ أَوْسٍ   فَلَا أَدَبٌ يُحَسُّ وَلَا أَدِيبُ
وَكُنْتَ ضَرِيبَ وَحْدِكَ يَا ٱبْنَ أَوْسٍ   وَهٰذَا ٱلنَّاسُ أَخْلَاقٌ[١] ضُرُوبُ
لَئِنْ قَطَعَتْكَ قَاطِعَةُ ٱلْمَنَايَا   لَمِنْكَ وَفِيكَ قُطِّعَتِ ٱلْقُلُوبُ

وقال عبد الله بن أبي الشيص [السريع] ١٨٣

أَصْبَحَ فِي ضَنْكٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ   أَكْثَرُ فِي ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْأَرْضِ
مَنْ عَرْضُ ذِكْرَاهُ وَمَنْ طُولُهَا   كَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ
أَكْرِمْ بِمَلْحُودٍ يُدَانِي بِلَى   وَجْهِكَ يَا ٱبْنَ ٱلْكَرَمِ ٱلْمَحْضِ
مَا فِي حَبِيبٍ لِي ٱبْنَ أَوْسٍ أُسًى   يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْجَفْنِ وَٱلْغُمْضِ
حَارَ ذَوُو ٱلْآدَابِ إِذْ فُوجِئُوا   مِنْهُ بِيَوْمٍ غَيْرِ مُبْيَضِّ
اِنْتَقَضَ ٱلْإِبْرَامُ مِنْ عُمْرِ مَنْ   كَانَ أَبَا ٱلْإِبْرَامِ وَٱلنَّقْضِ
طَوْدٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ دَعَا بَعْضُهُ   بَعْضًا فَهُدَّ ٱلْبَعْضُ بِٱلْبَعْضِ
بَحْرٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ لَهُ جَائِشٌ   مُلْتَطِمٌ بِٱللُّؤْلُؤِ ٱلْبَضِّ
كَأَنَّمَا ٱلشِّعْرُ شِعَارٌ لَهُ   أَوْ وَرَقٌ فِي غُصُنٍ غَضِّ
لَمَّا أَتَمَّ ٱللهُ فِيكَ ٱلَّذِي   أَمَّلْتَ مِنْ بَسْطٍ وَمِنْ قَبْضِ
رَمَاكَ رَامٍ لِلْمَنَايَا وَمَا   آذَنَ عِنْدَ ٱلرَّمْيِ بِٱلنَّبْضِ
لَوْ كَانَ لِلشِّعْرِ عُيُونٌ بَكَتْ   لِكَوْكَبٍ لِلشِّعْرِ مُنْقَضِّ

---

١ ا: اخلاق، ولعلّ الصواب (أخلاف).

وقال ووجدته بخطّ ابن مهرويه [السريع] ١٨٤

يَا حُفْرَةَ ٱلطَّائِيِّ أَيَّ ٱمْرِئٍ   أَثْوَيْتِ مِنْهُ فِي ثَرَى ٱلرَّمْسِ
شِعَارُهُ أَنْتِ وَلَمْ تَشْعُرِي   بِأَنَّهُ أَشْعَرُ ذِي نَفْسِ
كَمْ بَيْنَ أَثْنَائِكِ مِنْ حِكْمَةٍ   كَانَتْ شِفَاءَ ٱلنَّفْسِ بِٱلْأَمْسِ

تمّت أخبار أبي تمّام ١٨٥
ولله الحمد دائماً وصلّى الله على سيّدنا ومولانا
محمّد النبيّ وعلى آله الطاهرين وسلّم تسليما.

NEW YORK UNIVERSITY PRESS
New York

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Suli, Muhammad ibn Yahyá, -approximately 947.
The life and times of Abu Tammam by Abu Bakr Muhammad ibn Yahyá al-Suli : preceded by al-Suli's Epistle to Abu l-Layth Muzahim ibn Fatik / edited and translated by Beatrice Gruendler.
pages cm -- (Library of Arabic literature)
In English and Arabic.
Includes bibliographical references and index.
ISBN 978-0-8147-6040-6 (cloth : alk. paper) -- ISBN 978-0-8147-7083-2 (ebook) -- ISBN 978-0-8147-6003-1 (ebook)
1. Abu Tammam Habib ibn Aws al-Ta'i, active 808-842. 2. Poets, Arab--750-1258--Biography. I. Gruendler, Beatrice, 1964- editor translator. II. Muzahim ibn Fatik, active 10th century. III. Suli, Muhammad ibn Yahyá, -approximately 947. Akhbar Abi Tammam. IV. Suli, Muhammad ibn Yahyá, -approximately 947. Akhbar Abi Tammam. English. V. Suli, Muhammad ibn Yahyá, -approximately 947. Risalat Abi Bakr al-Suli ilá Muzahim ibn Fatik. VI. Suli, Muhammad ibn Yahyá, -approximately 947. Risalat Abi Bakr al-Suli ilá Muzahim ibn Fatik. English. VII. Title.
PJ7701.6.T35Z813 2015
892.7'134--dc23
[B]
2015013212

Series design by Titus Nemeth.

Typeset in Tasmeem, using DecoType Naskh and Emiri.

Typesetting and digitization by Stuart Brown.